

عمر الخيام

عصره . سيرته . ابيه . فلسفته . رباعياته

تأليف وترجمة

المهامي

احمد حامد الصراف

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

طبع بنفقة : نعيان الاعظم

صاحب المراكز العربية بغداد

مطبعة دارالسلام

١٣٥٠ هـ - ١٣٦١

اهداء الكتاب

الى السادة البراهيل ابناء عبرة شمس والى ربه شمس الجبيلة التي عطفت على
اهدى كتابي

احمد حامد الصراف



شیخی بز ن فاحشه گفتما مستی ،
هر لحظه بدام دگری پابستی ؛
گفتما شیخا هر آنچه گوی هستم .
اما تو چنانچه مینمائی هستی ؟

قال شیخ لفاحشة : انت سكرى وفي كل لحظة متعلقة بشخص . فقالت
ايها الشيخ ان الذى قلته فى صحيح . لكنك أنت انت كما تظهر للناس ؟

مقدمة المؤلف

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام هو احد النابغين في الشرق ، ولد في نيسابور في اواسط القرن الخامس هـ. وتوفي فيها في اوائل القرن السادس هـ وكان رجلاً ذكياً الفؤاد ، حاد الذهن ، عصبى المزاج ، متشاعماً ، يحمل بين جنبه نفساً ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم ، وقد درس العلوم الشائعة في عصره فاتقنها ، وبرز بالفلسفة والفلك ، والرياضيات ، والطبيعات ، وقد ألف رسائل وكتباً جليلة في مختلف العلوم دلت على صفاء ذهن ، وسعة اطلاع ، ومع انه كان نابغة المفكرين في عصره ، مقرباً من الملوك محترماً من الامراء ، فانه لم يشتهر اشتهاراً متناسباً مع مكانته العالية كأشتهاره بعد وفاته خصوصاً في القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الاخص . وعلة اشتهاره هي رباعياته التي اختفت اجيالاً ثم طلعت اخيراً كما تطلع الشمس من وراء السحب ، وذلك ان الشاعر الأنكليزي المبدع « فتيزرالد » كان اول من لفت انظار الغربيين اليها فنقلها الى الانكليزية باسلوب رائع جميل ، وحلت الترجمة محلاً عالياً من قلوب الانكليز والاميركان ، وبذلك ذاع صيته وشاع اسمه في الغرب ، وكان الخيام غير معروف عند العرب الا القليل منهم ممن اطالع على الأدب الفارسي ، واول من اهدى الى اهدى به السهم الأديب الامازيغي وديع اللساني ولم يكن الحمام المع عبقرية من ابى العلاء ، والمتنبي ، وابن الرومي ، وابي نواس ، وحافظ ، وسعدي ، والخاقاني ، والنظامي ، ولكن الخيام اسعد

مهم حفا اذا اتيح له من اشاد بادبه والدنيا حظوظ وقسم . واذا افتخر
الفرس بالخيام فللمرب حق ونصيب بالافتخار به ، لأنه تفقه بدينهم واعتر
بسلطانهم ، وتأدب بأدابهم ، وتهذب بعلومهم ، فهوربيب عبقرتهم ، وثقافتهم
وان شعره العربي وتأليفه بالعربية اسطع دليل على ما ادعيه ، ومع ذلك
ققد أنجبت الجزيرة افذاذاً من الشعراء والفلاسفة والمفكرين وحسب
العرب فخراً ان منهم المعري الذي كان قدوة للخيام في الشعر والتصوير
وامامه بالفلسفة والتفكير ، وعلى كل فكلاهما مفخرة من مفاخر الشرق
والمسلمين ، والعرب ، وكلاهما حكيم ، وكلاهما عظيم .

الكتاب

وهذا الكتاب الذي اقدمه الى القراء هو مختصر كتاب وضعته في
نيف والف صفحة في درس حياة الخيام وادبه وقد تصدى لطبع الكتاب
المختصر صديقنا نعمان افندي الأعظمي صاحب المكتبة العربية الذي
خدم النهضة الأدبية بطبع انفس الآثار .

ولا اكابر فادعي بانني احسنت في البحث واجدت في الترجمة وانما
اقول هذا كل ما قدرت عليه . وقد عرضت الكتاب والترجمة على
حبر العراق وعالمه الأستاذ فهمي بك المدرس فاجتحسن البحث
والترجمة ، وحسبي فخراً انني خدمت شاعر العرب وفيلسوفهم شيخ
المعرة بفارسته بالخيام ، والله يشهد انني اذيت الأمانة ، فلم اتعصب
لأحد بالباطل ، وآثرت الحياد خدمة للحقيقة . واست مؤملاً ان اسمع
ثناء ومن ألف فقد استهدف ومع ذلك فحسب المقل جهده .

في دمشق

وقد اسعدني الحظ بزيارة دمشق في صيف سنة ١٩٣٠ م فتكثرت
بليلة بقائي في مدينة العطر والشمر مشمولاً بمطف ابنائها الطيبين ، وقد
نعمت عدة شهور في المدينة التي انعمت عليها يد الله المحسنة بجلال
الآلاء مكرماً بين ابناء العم وقد هون على لطف اولئك المهذبين لوفقة
الشوق وألم الحنين الى وادي الرافدين الى الوطن الحزين . ولم اشعر في
دمشق بوحشة الغربة وهل بغداد ودمشق الا كجناحي النسر الضاعد
اذا هبط احدهما خفض الآخر ، وهل ابناء بغداد الا ابناء دمشق ؟
وقد نلت الشرف العظيم بالقاء محاضرة في المجمع العلمي يوم ٦ حزيران ١٩٣٠
في المقارنة بين الشعراء الحكيمين المعري والخيّام ، وانا فخور اذ كنت
اول من انتصف للمعري ، وقد تنازل اعيان المدينة الفاضلة فاستحسنوا
لمحاضرة ، وكان من دلائل تقديرهم ان اقترح رئيس المجمع العلمي
منحني وساماً عالمياً ، فالنعمت الحكومة السورية علىّ به ، واني لقاء
ما لاقيته من اكرام وحفاوة من ابناء دمشق وفي مقدمتهم علامة دمشق
وحبرها الجليل محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي ، ونائبه الجليل
الأستاذ المغربي ، والألمعيان الشاعران شفيق جبري وحليل مردم ،
والكاتب العبقري معروف الارناؤوط وغيرهم من الفضلاء اهديت كتابي
اليهم وحسبي بذلك اظهاراً لشعوري . ما





می خوردن و شاد بودن آیین منست ؛
فارغ بودن ز کفر و دین دین منست ؛
گفتم لبروس دهر کابین تو چیست ؟
گفتند دل خرم تو کابین منست .

مادتی از اشرب الحمینا و امر بها . و دینی از امر الکفر و الدین
قلت لبروس الدهر ما هو صدائق ؟ قالت قلبك الجدلان صدائق .

القسم الأول

عشره . مائة . اربع . فلسفة

www.alkottob.com

مدينة الاحزان

اقصد بمدينة الاحزان « كربلاء » ، (١) تلك المدينة الشهيرة في التاريخ وقد عرفت وذاع صيتها بين المسلمين بمأساتها التاريخية التي ما دون تاريخ الانسانية حادثة افجع من حادتها المؤلمة . وقد كان من سوء حظ العرب والاسلام وقوع تلك الفاجعة التي سببت الويلات الكثيرة والمصائب الجمة لما حصل لابي عبد الله الحسين وآله من القتل والتنكيل والعذاب والاسر وقد ولدت تلك المأساة الواناً من الاحقاد والضغائن في القلوب واوجدت الشقاق والاختلاف بين العرب والمسلمين ومازلنا نحن الاحفاد نقاسى الامرين ونعاني من نتائج هذه الواقعة ما نعاني و من القاتلون ونحن المقتولون .

(١) اختلف في لفظه « كربلاء » ، فقيل انها منحوتة من كلمة « كوربايل » وهي مجموعة قرى بابلية منها نينوى والفاضرية وكربله والنواويس والحائر وهو موضع القبر الى رواق البقعة الشريفة ، وقيل انها مركبة من (كرب) اي حرم و (ايل) الله ومعناها (حرم الله) وهناك اقوال كثيرة لا تخرج عن دائرة الاحتمال والظن .

وتبعد كربلاء الحالية عن بغداد ٦٤ ميلا وهي مدينة واسعة كثيرة الرباض والغياض ، تحيط بها عرائس النخيل ، وفي جناتها الواحات واصناف من العاكمة اللذيذة . وهي الى ذلك ذات شوارع مستقيمة وابنية نفحة وعمارات جميلة .

وقد أصبحت كربلاء بعد ذلك المصائب الجلل مناراً مقدساً يؤمه المسلمون من كل صوب وحاء ولا اغالى اذا قلت انها المدينة التي يحج اليها في كل عام جملة الف فارسي ونصف هذا العدد او اكثر من الأقسام الأخرى كالهند والافغان والتريكان وغيرهم ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والمهني والعامل بالمكوث فيها بضعة ايام بل فيهم من يفضل البقاء فيها اعواماً طويلة. ومنهم من ينقل اليها تجارته واعماله متخذاً اياها موطناً دائماً ، وعلى مرور الايام غمرتها العجمة واصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم الفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

وقد شاءت ارادة الله ان اسم نسيم الحياة في هذه المدينة التي لا ينقطع فيها النواح والبكاء والعويل لحظة واحدة فهي جديدة بان تسمى « مدينة الاحزان »

بي بي جان

ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدت انني اتكلم الفارسية العامية مثل سائر الصبية من اهل المدينة بيد اني وجدت في بيت بي عجوزاً شمطاً فارسية قد طحنتها كلا كل الايام وتركت الحوادث في وجهها غضوناً وفي سحنها شعوباً ينم عن ألم عميق وقد أشعلت المصائب رأيتها شيئاً كأن بياضه صفعة قلبها الطيب الودود ووجدت كل من في البيت يحفظ لها حياً كثيراً ويحترمها احتراماً عظيماً فكأن

« بي بي جان ، الأميرة النهائية في طول البيت وعرضه بل كانت ربة الدار
وقهر فلانة البيت تودب الصغير وترشد الكبير وتمنحو على من فيه
كانهم فلذات لبدها غير اني كنت اجمل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي
وقد حدثتني امي حديثاً شجياً اقصه عليك :

كانت « بي بي جان » زوج سري فارسي من مدينة شيراز وهي من
حفيدات « فتح علي شاه » الملك القاجاري وقد هجر زوجها مدينة شيراز
وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها فاصبح بها مقبلاً الا انه
ما عثم ان ابتلى بالافيون فاجتاحت هذه الافة امواله حتى قضت على
الذائق الاخير فمجره اعوانه وتركه خدامه فاملق مثقلاً بالديون
الى ان هاجمته الاوجاع والامراض ثم حفر له الضنى حفرة طمه فيها
فكان اثرأ بعد عين فبقيت بي بي جان الاميرة البائسة وحيدة فريدة
لا ركن لها تاوى اليه ، ولا والد يحميها ولا شقيق يعتمد عليه ، وقد عجزها
الحزن وآلمها الفقر والذل فوقعت مريضة . ولما بلغ جدى ما جرى لها
— وكان خطيب المدينة وواعظها — هزته مروته العربية فجاه اليها بمن
حملها الى بيته واجضر لها الاطباء وبذل في سبيل نجاتها الجهود الى ان
عادت اليها العافية وشفيت من مرضها وقوى جسدها فحملها مربية
لاولاده وبناته فكان يحملها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً متبعاً القول
المأثور « ارحموا عزيز قوم ذل » وكانت بي بي جان على جانب عظيم
من الفضل والادب والاخلاق . ناسكة زاهدة لبيبة فطنة . وكانت
تجيد العظم والانشاء في الفارسية وتستظهر اروع الشعر واحسنه وكانت

تلم بتراجم الشعراء ونكاتهم ونحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية فتولت تعليم امي واخوانها واخواتها وقد ادركتها ولم يبق في فيها الا ناب وقد انحنى ظهرها وضعف بصرها . وكنا اذا اجتمعنا في غرفتها ليالى الشتاء للسمر حدثنا حديثا لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء من الفرس والعرب الى ان يتغشانا النعاس فتصرفنا عندئذ واحداً اثر واحد وتشيعه الى مضجعه .

وقد توفاه الله في صيف سنة ١٩١٩ فشيّعناها بالعبرات والحسرات تغمدها الله برحمته .

اول عهدى بالخيام

أطوره

في احدى ليالى الشتاء عام ١٩١٧ م اجتمعنا في غرفة المرحومة صفاراً وكباراً وهى تدبر علينا اكواب الشاي وتسقيننا من حديثها الجميل ماهو احلى من رحيق الراح ، فابتهجت النفوس وطربت الارواح ، وقد أمسكت غليونها الطويل — وما زلت محتفظاً به — تباع دخانه وتمتصه كما يمتص الطفل ثدى امه وقالت ، وعلى فيها ابتسامة تشف عن نفس كريمة وقلب طهور ،

احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيام . قالت : —
صعد ذات يوم على قمة الجبل واخذ معه ابريقاً مترعاً بالمشعشة وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة فخطمت ابريقه ففاسكت الخمرة

فهاجت ثأثرته وغضب غضباً شديداً فخطب الله بهذه الرباعية :

ابريق مي مرا شكستی ربي
بر من در عيش واببستی ربي
برخاك فكندى مي فلكون مرا
خاكم بدهن مكر تومستی ربي

ای — حطمت يا الهی ابريق خمری واوصدت بابالطرب في
وجهي، وسكبت على الارض خمرتي اللازوردية . تراب بضمي فهل انت
سكران مثلي ۱۱۴

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة
ففرعت ابنته وقالت له يا ابتاه قد اسود وجهك وناولته مرآة
فلما نظر الى وجهه في المرآة والفاء اسود فاحاً بكى بكاءً شديداً وندم على
ما فرط في جنب الله وعلم ان الله قد غضب عليه فاستغفر الله عن هفوة
اللسان بهذه الرباعية :

نا کرده کنه در جهان کیست بگو
وانکس له کنه نکر دجون زیست بگو
من بدکنم وتوبد مکافات دهی
بس فرق میان من وتو چیست بگو

ای — يا الهی قل من الذی لم یرتکب خطاءً وكيف عاش انسان ولم
یرتکب خطاً — او ذنباً — أنا اعمل سوءاً وانت تجاز بنی بسوء مثله اذا
ما الفرق بيني وبينك ؟

ولما انتهى من انشاء هذا الرباعي عاد وجهه كما كان اولاً .

بهذا حدثني د. زن اغا، (١) عن عمر الخيام قبل اثني عشرة سنة وانا يومئذ فتى يافع وقد بعثت في هذه الاسطورة اللذيذة ورغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه فطلبت اليها ان تدرسنى ديه انه فرفضت طلبي زابحة ان في شعره ميلا يتفق مع الشرع ، فالحجت عليها لاجاحاً شهيداً فأخذت تدرسنى رباعياته وفي مدة لم تتجاوز الشهرين استظهرت جميع رباعياته فوقفت على دقيق معانيها وعميق مغايزها فلبت اليه كل الميل وشعرت بلذة نفسية من دراسة شعره وفي سنة ١٩٢١م فالتجني صديقي الشاعر المبدع السيد محمد الهاشمي بترجمة الرباعيات فترجمته ما يقرب من ٣٠٠ رباعية وقد صباها في قوالب عربية نفيسة مع المحافظة على الروعة والجلال والانسجام غير اننا لم نوفق لطبع الكتاب فانفرد كل بما لديه فاخذت يومئذ ادرس ادب الخيام وحياته على الطريقة المصرية فانتجت هذا الكتاب الذي اقدمه الى قارئه بيد مرتعشه هزها الحياء والتجمل .

—❦—

(١) وكان هذا لها

من هو عمر الخيام؟

الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه

من اقدم الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه كتاب «جواهر مقاله» - اربع مقالات ، لمؤلفه احمد بن عمرو بن علي النظامي المروزي السمرقندي الذي تلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ وقد قيل له ان استاذة توفي منذ اربع سنوات..

- ١ -

النظامي

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي افزدها لـ اخبار القلميين ما ترجمته (١) :-

في سنة ٥٠٦ هـ في مدينة « بلخ » وفي صرح « امير بوسعد جره » حظيت بخدمة الاستاذ عمر الخيام والامام المظفر الاسفزارى (٢) وفي

(١) جواهر مقاله ص ٦٢ - ٦٤

(٢) هو الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزارى كان ماهراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الانتقال والحل وكان رؤوفاً بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيام وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والاثار العلوية وغير ذلك (تاريخ حكام الاسلام في خزائن المجمع العلمي العربي في دمشق)

اثناء الحديث سمعت حجة الحق اى - عمر الخيام - ؛ يقول اننى اذا مت فان قبرى سيكون فى مكان تهب عليه نسائم الشمال وينثر عليه الزهر والورد . وقد تملكنى العجب من قوله لانى كنت اعلم ان خياماً لا يتكلم الا عن روية وفى سنة ٥٣٠ هـ دخلت نيسابور فبلغنى ان السراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلى يتما . ولما كان له حق التعلم ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ومعى رجل ليدلنى على قبره فاخذنى الرجل الى مزار (حيره) ولما وصلنا التفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد احاطت بقبره اشجار المشمش المنورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى اخفى قبره وقد ذكرت مقاله لى فى بلخ فبكيت ولم اجد فى هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه .

- ٢ -

البيهقى

هو الشيخ الامام ظهير الدين ابوالحسن ابن الامام ابى القاسم البيهقى (١) المتوفى فى حدود ٥٧٠ هجرية فقد ذكر فى كتابه (حكماء الاسلام) (٢) مانصه :-

(١) يهق بلدة من نواحي نيسابور

(٢) ظفر بهذا الكتاب الجليل علامة دمشق الاستاذ الكبير السيد محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق فى احدى مكتبات اور وبا الكبرى فصوره واهداه الى المجمع واضاف بذلك حسنة اخرى الى حسناته اللمة ادام الله حياته .

- ٨ -

ولقد دخلت على الامام — اى عمر الخيام — فى خدمة والدى
فسألنى معنى هذا البيت فى الحماسة :

ولا يرعون اكناف الهوينى اذا حلوا ولا ارض الهدون
فقلت له: الهوينى اسم تصغير كالثريا والحيا ومعناه أنهم من عزم
وجراتهم لا يرعون النواحي التى اباحتها المسألة ووطأتها المهادة ولكن
النواحي المتحامة .

ثم سألتى عن أنواع الخطوط القوسية . فقلت : أنواع الخطوط القوسية
اربعة منها محيط دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة . فقال لوالدى :

« شنشنة أعرفها من أخزم ، ا
وحكى لى ختته الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب
ويتأمل فى كتاب (الشفاء) ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لى :
اطلب الاصحاب لانتى اريد ان اوصى ولما اجتمعوا طفق يصلى وأعرض
عن غيره ، ولما سجد كان يقول فى سجوده « اللهم انى عرفتك على مبلغ
امكاني فاغفر لى فان معرفتى اياك وسيلتى اليك ، ثم قضى نحبه . وكان آخر
نظمه هذا الرباعى :

سير آدمم اى خدای از هستی خویش
از تنك دلی واز تهی دستى خویش
از نیستت جو هستت میکنی بیرون آر
زین نیستتم بجرمت هستی خویش (۱)

(۱) لم يذكر البيهقي هذا الرباعي فى كتابه « حكايا الاسلام » وانما ذكره ٤٠

مللت يا اهلّى وجودى ومن ضيق صدرنى وفراغ يدى يا من يجعل
من العدم وجوداً اخرجنى من عدى بحرمته وجودك :

— ۳ —

خاقانى

وبعد جہار مقالہ ورد اسمہ فی اشعار خاقانى الشيروانى الذى توفى سنة
۵۹۵ ھ فقد قال فى بعض قصائده

زان عقل بدو گفته كه اى عمر عثمان

هم عمر خيامى وهم عمر خطاب

— ۴ —

الرازى

وجاء ذكره فى كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين ابى بكر

واضع حواشى جہار مقالہ راجع ص ۱۲۸ — ۱۱۹ وفى رواية اخرى انه
انشد هذا الرباعى ومات

يا رب خردم درخور اسباب تونيست

واندیشه من بجز مناجات تونيست

من ذات ترا بواجبى كى دانم

دانده ذات تو بجز ذات تونيست

يا ربى ان عقلى قاصر عن معرفة اسبابك وما تفكرى الا مناجاة لك انا

لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك

ذكر هذه الرواية حسين دانش فى كتابه (سر امدان سخن) ص ۱۸۷

نقلا عن كتاب (نزهة الارواح) للشهرزورى .

الرازي سنة ٦٢٠ هـ ما ترجمته : وما الحكمة في جعل هذه الروح العلوية النورانية في قلب سفلى أظلم متخذ من القراب ؟ ثم ما السبب في التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما ؟ لم تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب في نشر جسد الانسان في المحشر مرة اخرى ؟ اجل ، ان الذي خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن — علم ان ثمر النظر والقدم هو الايمان والعرفان . ان الفيلسوف الدهري الطبيعي محروم هذين المقامين حتى ان احد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قد تاه في بيداء الضلال بقوله :

در دائره كآمدن ورفتن ماست
 آنرا نه بدايت نه نهايت بيداست
 كس مي نزند دمي درين عالم راست
 كاین آمدن از كجا ورفتن بكجاست

ان الدائرة التي فيها نجى ونذهب ليست بذات بداية ونهاية ، لا احد يستطيع ان يقول من اين هذا المجيء والى اين هذا الذهاب .

— ٥ —

الشهرزوري

وبلى هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام في

كتابه "نزهة الارواح وروضة الافراح، الذي الفه بين سنة ٥٨٦-٥٦١١ هـ (١)
فقال : عمر الخيام نيشابورى الا ثار والميلاد كان تلوا بي على ابن سينا
في اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سى الخلق ضيق العطن . تأمل كتاباً
باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فامله فقبول بنسخته
الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت، وله ضنة بالتصنيف، والتعلم وله مختصر
في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف ، وكان
عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل الامام عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق
وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء
في آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر
وجود اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها
وفضل وجهاً واحداً . فقال الغزالي : كثر الله في العلماء مثلك ، اجعلنى
من بعض اهلك وارض عنى ، فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا
يحفظ ذلك ويعرفه فضلاعن واحد من الحكماء ، وأما اجزاء الحكمة من
الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها .

ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء
الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء ، فطول الخيامي
الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا ، وضمن بالخوض في محل النزاع
وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالي : جاء الحق

(١) پروفوسور ساخاتو في مقدمة الاثار الباقية لابي الريحان البيروني ص ٥٦

وزهق الباطل . وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس
الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .
ودخل على السلطان سنجر وهو صبي (١) . قد اصابه جدري فلما
خرج ساله الوزير كيف داو يته وبأى شىء عالجتة ؟ فقال عمر : الصبي
مخوف . فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان ، فلما شفى السلطان أبغضه .
وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من
الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين
وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب ، ولما صلى العشاء سجد وكان
يقول فى سجوده « اللهم تعلم انى عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى وان
معرفةى اياك وسيلتى اليك ، ومات رحمه الله تعالى
وقد ذكر له شعراً فى العربية سنذكره فى بحث (اشعاره العربية)

— ٦ —

ابن الاثير

وقد جاء ذكره فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المؤلف
سنة ٦٢٨ هـ فقد ذكر فى ذيل حوادث سنة ٤٢٧ هـ ما نصه :
« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين
وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول
الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم : وفيها ايضاً
عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى
(١) راجع كتاب جهار مقاله لمؤلفه تلميذ خيام (العروضى السمرقندى)

عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاستفزازي وميمون بن
النجيب الواسطي وغيرهم (١) وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقي
الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ هـ فبطل بعد موته ،

— ٧ —

القفطي

ومن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي
ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٥٦٤٦ هـ قال :
« امام خراسان ، وعلامة الزمان ، يعلم علم يونان ، ويبحث على طلب
الواحد الديان ، بتطهير الحركات البدنية ، لتزويه النفس الانسانية ، ويأمر
بالتزام السياسة المدنية ، حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخر والصوفية
على شئ من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم
وخلوانهم ، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع ،
ولما قدح اهل زمانه ، في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه ، خشى على
دمه ، وامسك من عنان لسانه وقلبه ، وحج متافاة لا تقيه ، وابدى اسراراً
من السرار غير نقيه ، ولما حصل بيغداد سعى اليه اهل طريقتة في العلم القديم ،
فسد دونهم الباب سد النادم لاسد القديم ، ورجع من حجه الى بلده يروح
الى محل العبادة ويغدو ، ويكتم اسراره ولا يد ان تبده ، وكان عديم القرن
في علم النجوم ، والحكمة ، وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق

(١) قال مؤلف « سرامدان سخن » ان الذين عهد اليهم بناء الرصد كانوا
ثمانية من الفلكيين ومنهم عمر الخيام ولم يذكر المصدر الذي نقل منه هذا الخبر

العصمة ، و له شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ، و تكدر عرق قصده
كدر خافيه . فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصلها بالكد كفى وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازماني موعدى او مواعدي
ليس قضى الافلاك من دورها بان تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولى فوق هام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى مادنت دنياك كانت بعيدة فواعجبي من ذا القريب المباعدي
اذا كان محصول الحياة منية فسيان حالاً كل ساع وقاعد (١)

— ٨ —

القزويني

و عن ذكره من المؤرخين زكريا بن محمد بن محمود القزويني صاحب كتاب
أثار البلاد واخبار العباد الذي الفه سنة ٦٧٤ هـ قال في بحثه عن نيشابور
و ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفاً بجميع انواع
الحكمة سيما النوع الرياضي وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي .
سلم اليه مالا كثيراً ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب
فات السلطان وما ثم ذلك . وحكى انه نزل ببعض الربط فوجد اهلها
شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ ثمثال الطير
من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها .

(١) راجع اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبع ليبسك ص ٢٤٣ - ٢٤٤

وحكى ان بعض الفقهاء كان يمشى اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فاذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر باحضار جمع من الطباليين والبوقيين وخبأهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات فجاءه الناس من كل صوب ، فقال عمر: يا اهل نيشابور! هذا عالمكم يأتينو كل يوم في هذا الوقت ويأخذ مني العلم ، يذكرني عندكم بما تعلمون فان كنت انا كما يقول فلاى شىء يأخذ على والا فلاى شىء يذكر الاستاذ بسوء ، ؟ (١)

— ٩ —

رشيد الدين

ومن الذين ذكروه رشيد الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ صاحب كتاب جامع التواريخ قال ما ترجمته :

ان اسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصياح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا في مدرسة واحدة وكان بينهم صقاء و اخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين ابنا المدارس حتى وصلت الصداقة الى اوجها واتفقوا على الاخاء والمحبة ثم اتفقوا على ان من ينال منهم رتبة علمية يساعد الاخرين وبحسب الاتفاق اتفق ان وزير نظام الملك وزيراً كما هو مذكور في تاريخ نخل سلجوق فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق في ايام الصبا . فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له : وليتك نيشابور ونواحيها !

(١) اثار البلاذري واخبار العباد طبع ووستغليه ص ٢١٨

وكان عمر حكيماً عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال : « ليس لي طاقة بالسياسة
وأمر العوام ونهيم فأعطني راتباً شهرياً بحسب الوظيفة . فأعطاه نظام
الملك عشرة آلاف دينار في السنة من دخل نيسابور المحروسة بدون
نقص ولا انقطاع وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من
الري الى نظام الملك ليحظى بخدمته ، وقال له : « الكريم اذا وعد وفي ،
فقال له نظام الملك ، اختر بين ولاية الري واصفهان ، وكان سيدنا ذا همة
عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به . وكان يتوقع ان يشاركه بالوزارة .
فقال له نظام الملك : كن ملازماً لحضرة السلطان مدة .

ان نظام الملك كان يعلم ان حسن الصباح كان طالباً لأن يحل محله
في الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه ، وبعد سنين استوحش السلطان
من نظام الملك ورفع الحساب من عهده .»

— ١٠ —

الابرقوهي

ومن ذكره مؤلف « فردوس التواريخ ، وهو مولانا خسرو
الابرقوهي سنة ٨٠٨ هـ قال ما تعريبه : — « خيام — وهو عمر بن ابراهيم
الخيام — كان ذا باع طويل في العلوم الخاصة ، وفي علم النجوم ، وله رسائل
ذائعة الصيت واشعار لا نظير لها ، ومن اشعاره :

هر ذره كه در روى زمينى بودست

خورشيد رخی زهره جبینى بودست

— ١٧ —

كرد از رخ نازنین بآزرم فشان

كان هم رخ وزلف نازنینی بودست

ان كل ذرة على وجه البسيطة هي وجه جميلة حسناء ، يا هذا انقض
الغيار برفق فان هذا التراب كان وجه زهراء الجبين .

- ۱۱ -

حمد الله المستوفى القزويني

وعمذ كره المؤرخ حمدالله المستوفى القزويني في كتابه الذي أنمه في
سنة ۷۳۰ هـ (۱) قال ما تعريبه :

• عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعا من اكثر العلوم ولاسيما علم
النجوم وبرز فيه على من كان في عصره ، وكان من ندماء السلطان
ملكشاه السلاجوقى . له رسائل جيدة وشعر بديع ، ومن شعره هذه
الرباعية :

هر ذره كه بر روى زمينى بوده است

خورشيد رخى زهره جبينى بوده است

كرد از رخ آستين بآزرم فشان

كان هم رخ خوب نازنينى بوده است

اى - ان كل ذرة على وجه الارض هي وجه زهراء الجبين ، يا هذا
انقض التراب من اردانك بأدب لان ذلك ايضا وجه جميلة فتاته .

(۱) تاريخ كزبده نقل عن كتاب (عمر الخيام) لرضا تونيق وحسين دانش

- ۱۸ -

خو أندمير

قال صاحب كتاب «وضحة الصفا» (ج ٤ ص ٦١) الشيخ مير خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة :

« قال الاستاذ نظام الملك أفاض الله عليه شأبيب الغفران : كان الشيخ موفق النيسابورى روح الله روحه من كبار علماء خراسان ، وكان محترماً يتبرك به وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين ، وكان مشتهراً عنه أن من يتعلم عنده القرآن والحديث من التلاميذ ينالون الرتب العالية فعلى ذلك أرسلنى أبى اليه مع الفقيه عبد الصمد للتعلم ، فذهبنا من طوس الى نيسابور للتشرف بباب مجلسه العظيم والتعلم ، فشرعت فى الاستفادة والتعلم عليه ، وكانت له عناية بى وقد أحببته واحترمته كثيراً ، وبقيت عنده أربع سنين ، واتفق أن رأيت عندمقدمى اليه تلميذين ذكينا أحدهما عمر الخيام والآخر الملعون حسن بن الصباح وكان على جانب عظيم من الذكاء ، وبعد قليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة فكانا يأتيان عندى بعد الدرس فتتدارس وتتذاكر فيه ، وكان عمر من نيسابور ، وحسن صباح الذى اسم أبيه على من الرى ، وكان أبوه رجلاً سى المذهب خبيث العقيدة ، وكان يقيم فى الرى ، وكان اذ ذاك ابو مسلم المروزى والياً على الرى وهو معروف بحسن العقيدة والاخلاق الماضلة ، وكان حسن يعادى عادات أهل السنة ويظهر مفايدهم ، ولكنه كان يدعى اذا حضر عند

أبي مسلم أنه برى من بعض تلك الآراء وبخلف الإيمان على ذلك . ولما
كان الامام موفق النيسابوري امام اهل السنة والجماعة في نيسابور
جاءه ذلك الملعون (حسن) وشرع في الدرس عليه دافعاً لشبهة الرفض
التي اتهم بها بطريقة الزهد واختار العزلة ، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل
على الالحاد والاعتزال ، وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة ، وكان
ينتسب الى العرب ويدعى انه من حمير من آل صباح وان والده من
الكوفة أتى الى قم ومنها الى الري ، وكان أهل خراسان — ولا سيما أهل
طوس — يكذبونه في ذلك ويقولون ان ابا حسن هو أحد قرويي
خراسان . قال نظام الملك — فقال لنا حسن يوماً: كلنا تلاميذ للامام موفق
النيسابوري وسننال الرفعة والحظوة فمن يكون منا مظهر لهذا الفيض ،
ولا بد ان يكون احد منا فماذا سيعمل لآخويه الباقين ؟ فقلنا له: ليكن
كيفما تريد ، فقال: يلزم ان تتعاهد على ان كل من يصيب ذلك منا يشارك
آخويه الآخرين ولا يكتفى بمنفعة نفسه . فقلنا: نعم فايكن ذلك ،
وثبتنا على تعهدنا ، فقضت السنوات على هذه الحادثة وسافرت من
خراسان الى ما وراء جييجون وغزته وكابل ، وبقيت مدة في خزنه وكابل
ولما عدت خولني السلطان الب ارسلان وظيفه خطيرة فجاءني عمر الخيام
وتفضيت ما تعهدنا به من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمه واعززته
وقلت له بعد ذلك: يلزم ان يكون مثلك من اهل الكمال ملازماً لمجلس
السلطان وقات له: سأذ كر فضلك للسلطان واذ كر حالك وعلمك فأجعل
لك مكآة في نفسه حتى تكون مثلي . فقال لي الحكيم الخيام: ان عرقك

الشريف ونفسك النكرمة وطيتتك الطيبة وهمتك العالية التي أظهرت بها هذه المطالب دعنتي اليك والافان رجلا ضعيفاً مثلي لا يكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب ، ولا ريب في ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لآعن تكلف وهي قليلة بالنظر الى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة علي ، ولو قضيت عمري بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التي تفضلت بها علي ، واني اتمنى ان اكون ابدأ في موضع العبودية لدى مقامك ، وان ما امرت به يجب ان لا تكون عاقبته الكفران والجهود ، والان ازوي جالساً في باب دولتك ومشتغلاً بنشر العلم والفوائد والدعاء بالعلم الطويل لك . قال نظام الملك : وأصر الخيام على هذا الكلام لآتي أعلم انه كان يتكلم بما في ضميره بدون تكلف فعينت له كل عام ١٢٠٠ دينار من املاك نيسابور ينفقها على معاشه واولاده رجع بعد ذلك الى موطنه وأتم الفنون خصوصاً فن الهيئة ووصل في هذا الفن الى درجة رفيعة جداً . وفي عهد الملك العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو وأخذ في تدريس علم الحكمة وكان مظهر عناية السلطان ووصل مقاماً كان فيه من كبار العلماء والحكماء .

—١٣—

زوكوفسكى

ومن الوثائق التي عشر عليها المستشرق « زوكوفسكى » ماورد في تأريخ الألفى الذي كتب في سنة ١٠٠٠ هـ وهو مختصر « نزهة الارواح » للشهرزورى ، وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهي :

—٢١—

ای رفته و باز آمده بل هم کشته
نامت زمیان نا مها کم کشته
نا خن همه جمع آمده و سم کشته
ریش از بس کون در آمده دم کشته

يامن ذهب وجاء وصار بل هم كالانعام او أضل سبيلا، لقد ضاع
اسمك بين الاسماء واجتمعت اظافيرك وصارت ظلماً وظهرت لحيتك في
عجزك وصارت ذبلاً .



تحقيق ما جاء في هذه الوثائق

الآن - وقد انتهينا من استقصاء أهم الوثائق التاريخية عن عمر الخيام وما جرى له من الحوادث في حياته وما كان يعتقد فيه معاصروه - يقضى البحث العلمي أن ننظر فيها نظرة انتقاد عامة فهو قد لا يجوز قبول هذه الوثائق برمتها، وقد يبعث الشك في صحتها، وقد ينكر ما جاء فيها . فتحتم علينا أن ننقد هذه الوثائق من الوجهة التاريخية ونزن ما جاءنا عنه من انباء الحوادث والوقائع حتى نستخلص الحقيقة بطريقة التعليل المستندة الى الاستقرار قياساً او اجتهاداً . فان ما أسند الى هذا الحكم من غرائب الاخبار وما عزي اليه من عجائب الحوادث يدفع الى الارتياب في صحتها اذ سدلت على حياة الرجل غلالة من الغموض والابهام . فان ما كان عليه الخيام من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ومن فضل وادب وتفكير صحيح يعارض ما ورد عنه وربما كان ما يقصه علينا المؤرخون من قبيل ما يلفق عن العظماء والمفكرين من الاخبار التي تُختلق عادة اعظاماً لاقدارهم او خطأ لها .

ولست اجد في نفسي - وقد بحثت طويلاً في تحقيق هذه الوثائق - ميلاً الى الاعتقاد بسلامتها من شوائب الكذب والافتراء مستثنياً ما كتبه عنه تلميذه «النظامي» الذي درس عليه العلوم الشائعة في عصره، والبيهقي الذي تحدث اليه مرة واحدة في قضايا لغوية وفلكية .

وبعد فلنلق نظرنا الى هذه الوثائق

رواية البهقي - أما البيهقي فقد حدثنا عن كيفية وفاة الخيام فقال :
 « حكي لي ختنة الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخيال من ذهب
 و يتأمل « كتاب الشفاء » ، ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لي
 اطلب الاصحاب لا تني أريد أن أوصي ، ولما اجتمعوا طفق يصلي
 وأعرض عن غيره ، ولما سجد كان يقول في سجوده « اللهم اني عرفتك
 على مبلغ امكاني فاغفر لي فان معرفتي اباك وسيلتي اليك ، ثم قضى نحبته .
 فالذي يتأمل في هذا الخبر لا يتردد في الحكم على عدم صحته .
 فاننا نجعل شخصية ختنة كما نجعل اصحابه ، ولم نسمع ولم نقرأ عن وفاة
 انسان على الصورة التي توفي فيها عمر الخيام ، فاذا كان يراد بذلك انه
 كان من اصحاب الكرامات والمعجزات ١٤٢ فان الانبياء الذين يفضلون
 خياماً بما لهم من منزلة قدسية عند الله أولى وأجدر منه بهذه الميزة السهلة
 من غير معاناة ألم ومرض . واذا كان يراد بهذه الحكاية اظهار فضله
 والاشادة بزهده وورعه فاذا تكون قيمة هذه ازام الشهادات القاسية التي
 طعنت في دينه وعقيدته؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء العجيب
 وبين قول الشيخ نجم الدين الرازي صاحب كتاب مرصاد العباد الذي
 زعم أن خياماً كان من الفلاسفة الدهريين الطبيعيين وانه قد تله في يدياً
 الضلال . ؟ وقول القفطي في كتابه « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ولما
 قدح اهل زمانه في دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشي على دمه
 وأمسك من عنان لسانه وقلبه ، وحج متاقاة لا تقية ، وأبدى اسراراً من
 السرار غير تقية؟ ،

على أن رحمة الله تسع أوزار الورى ولعل الله قد غفر لخيام في آخر ساعة من حياته بعد أن قضى دهرأ طويلا يدعو الناس الى معاقرة بنت الحان مسفها رأى من يعتقد بالحشر والذشر ، ولله خوارق العادات ١٤ على أنني لاآررد في الحكم على هذه القصة المضحكة بأنها أسطورة اختلقها الناس .

رواية الشيخ ميرخوند — وأما الشيخ ميرخوند فقد نقل في كتابه (روضة الصفا) وصايا نظام الملك الوزير وفيها خبر اجتماعه في صفه مع عمر الخيام والحسن الصباح في مدرسة واحدة . وقد توقف أكثر العلماء الباحثين في قبول هذه الرواية واعتبروا هذا الخبر اسطورة ، وحجتهم في ذلك أن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت أن وفاة عمر الخيام كانت سنة ٥١٧ هـ ووفاة الحسن الصباح سنة ٥١٨ هـ فعلى هذا يقتضى أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح ١٢٠ سنة وهو احتمال ضعيف وعلى هذا نفى أكثر العلماء والمشتغلين في هذا الموضوع اجتماع هؤلاء الثلاثة لتعذر المقاربة بين اعمارهم (١)

ولست اميل الى تكذيبها بتاتا لآني لا استبعد وقوع ذلك وقد يجوز ان يعيش الانسان ١٢٠ سنة لكن الذى يدفع الباحث الى الارتياب في هذا الخبر هو شىء واحد ، وهو أننا لو فرضنا أن عمر الخيام قد عاش هذا العمر اتفاقاً فهل يجوز لنا ان نفرض بأن الحسن الصباح قد عمر

(١) ومن ذكر هذا المستشرق الفرنسى لويز ماسنيون في اثنا زيارته بغداد منذ أكثر من عامين ، وقد ضمنا واياها مجلس كان فيه الاستاذان الاثرى وعز الدين علم الدين .

بقدر ما عمر الخيام اتفقا أيضاً؟ في هذه الحالة أقف ازاء هذه القصة موقف المتردد الذي يشك تارة ويوقن اخرى .

رواية زكريا بن محمد بن محمود القزويني — أما زكريا القزويني فقد روى في كتابه آثار البلاد واخبار العباد قصة غريبة عزاها الى عمر الخيام وتلخص في أن أحد الفقهاء كان يقرأ عليه درساً في الحكمة كل يوم قبل طلوع الشمس فاذا حضر عند الناس ذكر الخيام بالسوء فأمر الخيام باحضار جمع من الطباليين والبوقبين وخبأهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته أمرهم الخيام بضرب الطبول، فجاءته الناس ، فقال الخيام : يا أهل نيشابور هذا عالمكم بأئني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ عنى العلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون فسبب بذلك فضيحة للفقيه ، الى آخر القصة

هذا مارواه القزويني ونحن نعلم بأن عمر الخيام كان يجلس في سرير واحد مع ملكشاه السلجوقي ، وكان ملك بخارى يعظمه كثيراً ، وقد علم الفلسفة في نيشابور وبنى فيها الأرصاء وكانت له منزلة رفيعة حتى ان الامام الغزالي قال له حين مواجهته له : اجعلنى من بعض اهلك فهل من المعقول أن يسف الخيام هذا الاسفاف الذى يترفع عنه الفتية لينتقم من شائمه بهذه الوسيلة المضحكة .

رواية المستشرق زوكوفسكى — وأما المستشرق زوكوفسكى فقد زعم انه عثر في تاريخ الافى الذى كتب في سنة ١٠٠٠ هـ على رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ. وهذه الرواية لا يعتد بها ايضاً لان من يهاجم عقيدة البعث بعد الموت في اكثر رباعياته لا يمكن أن يعتقد بمذهب التناسخ الذى هو رأى الاقوام المنحطة في التفكير .

مقام الخيام فى الاداب الحديثة

- ١ -

الرباعيات فى اللغات الأجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائل فى الفلسفة والطبيعات والجبر والكيمياء . وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما أثار فى نفوسهم الإعجاب الشديد بها ، فافتنوا بها أى افتنان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثراً ونظماً . واستظفروها وتجاوزوا بها فى مجالسهم وأديبتهم والذين تولوا الإشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته وإذاعة صيته هم بعض الأفاضل من المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل فى بحث اسمه وإعلانه ولولا هؤلاء الفطاحل لبقى الخيام خامل الذكر مجهولاً عند الناس . ولست أريد أن أبحث فى السبب الذى ساق هؤلاء الى الإعتناء والرغبة فيها وإنما يكفى أن أقول أن المعانى الجليلة التى تضمنتها الرباعيات صادفت هوى فى القلوب على اختلاف المشارب ولائمت الأذواق والطباع فليس فى الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الواسع وإنما تجلى فيها الذوق الإنسانى العام فكان خيام كمن ترجم عن احساس الناس وعبر عن شعورهم وشدوهم وتخيلهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم .

هذا هو السر الذي اورث الميل اليه في الناس . وها نحن اولاء نذكر
اسماء الرجال الذين عنوا برباعياته .

اول من عرف الخيام من الفرنججة العلامة (توماس هايد
Thomas Hayde) استاذ اللغتين العربية والعبرانية في جامعة اكسفرد
ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين ، وقد بحث في شعر عمر الخيام
وترجمه سنة ١٧٠٠م . ثم جاء من بعده فزكرلد Vitzgerald وهو اول
من اشاد بذكر الخيام ورفع ذكره ومقامه فنظم فلسفته بالانكليزية رباعيات
ضممتها روح الرباعيات الفارسية فخلد اسمه برباعياته التي صادفت قبولا
عظيما من الانكليز والاميركان وهي آية في السلاسة والرقة والاعجاز .
وترجمة فزكرلد هي المشهورة المتداولة بين الناس .
واليك نموذجا من نظمه : —

1

Awake for Morning in
the Bowl of Night
Has flung the Stone that
cuts the Stars to Flight :
And Lo! the Hunter of
the East has caught
The Sultan's Turret in a
Noose of Light.

Dreaming when Dawn's Left
Hand was in the Sky
I heard a Voice within the
Tavern cry .
, Awake, my Little ones,
and fil the cup
, Bef' re Life,s Liquor in its
Cup be dry

And, as the Coek crew, those
who stood before
The Tavern shouted- ' Open
then the Door !
' You know how little
while we have to stay,
' And, once departed, may
return no more .

وفي سنة ١٨١٨م ترجم المستشرق النمساوي هامر برغستل
Hammar Purgstaj خمسا وعشرين رباعية ونشرها في كتابه تاريخ
الدولة العثمانية مدعياً أن هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامي .
وفي سنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسي Gorcin de Tassy
عشر رباعيات .

وفي القرن التاسع عشر ترجم المستشرق السير كور أزل
Sir Gore Onseley رباعيتين وكان سفيراً في طهران وتوفي سنة ١٨٤٤م .
وفي سنة ١٨٩٨م ترجم المستشرق أدورد هيرن الرباعيات

الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التي اعتمدها فرزد كرلد وبين
ما راعاه هذا من الاصل في ترجمته وما لم يراعه .

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نيقولا Nicolas الذي كان مستخدماً
في السفارة الفرنسية في طهران ، وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه
النسخة التي طبعت في بمبي ، ومن رأيه أن الخيام شاعر صوفي مشغول
بالعشق الالهي سكران بالخزرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازي .

وترجمها الى الانكليزية كل من ونسفلد Whinfield وهالن Hallen
وهرسن Hirson ورشرد لكين Richard Le galliaun لكنهم لم
يبلغوا الشأو الذي بلغه فرزد .

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيو ت . هنري T. Henry .
ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزي الاستاذ العلامة
ديفنس روس Denison Ross .

ومن تتبع سيرته المستشرق والنثين زوكوفسكي Valantin Zhukovski
فككتب باللغة الروسية أشياء ترجمها عن ديفنس روس .
وبحث المستر براون E.G.Brown استاذ اللغتين العربية والفارسية
في كبرج بحثاً مفيداً عن فلسفته وسيرته .

ومن بحث في فلسفته الاستاذ جاكسن jackson الاميري
لؤبحث المستشرق برتلي ديربلو Bar helmgd' Herblot المتوفى
سنة ١٦٩٥م في كتابه المكتبة الشرقية ، عن الخيام .

• • •

الرباعيات في اللغة العربية

وإول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستاني
فترجم اربعين رباعياً من الانكازية من نظم الشاعر فز كرلد . وهذا
لم يترجم الرباعيات بنصها وفصها وانما درسها درساً عميقاً حتى
اذا تشبعت روحه بأراء الخيام أخرجها في قوالب شعرية
هي من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعبارة عن الاصل ولكن
عليها مسحة من شاعرية خيام . والبستاني بترجمته أبعداها عن الاصل
اكثر الا أن له فضل الاولية في لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام
وفي ترجمته من الرقة والاحساس والسلاسة والروعة الشعرية ما يفتن
اللب ويهيج الشجو . واليك نموذجاً من ترجمته :-

بت في حاتي ضجيع المدام وقبيل انهزام جنح الظلام
راعني هاتف دوى في المقام
صارخاً بالنيام : حتى الى ما فارشفوها وودعوا الاياما
قلدا تجرعون كأس حمام رنحها علاقم أسيفغ شرابا

وربيع الحياة عهد الصباء وحياتي كهذه الصباء
مرها الحلوفى طبي ودائي

فدعوني بعض اللبابة أفضى
قبلا يدهم المشيب الشبابا

ويلخ او نيسبور سأقضى
ودعوني اسقى المدام دعوني

ورخيفان مع زجاجة خمر

ومقامي غصن مظل بقفر

كل زادي والاهل ديوان شعر

بشجي يذيني يتغنى

وحبيب يهواه قلبي المعنى

واري هذه القصور خرابا

هكذا اسكن القفار وحيداً

وأعقب البستاني الأديب المصري السيد محمد السباعي فأخرج الى

العربية مائة رباعي ورباعياً وقد ترجمها أيضاً عن الانكليزية البعيدة عن

الاصل الفارسي وهي من حيث السبك والسلاسة والروعة دون

ترجمة البستاني لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع

مايعافه الذوق وبمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستاني . وقد

صدر النظم بهذا البيتين :

وأدر كأسك فالوقت خلس

غرد الطير فنبه من نعس

وتعري الصبح من ثوب الغلس

سل سيف الهجر من غمد الدجى

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع) ولها ثالث وهو قوله:

نالها من ظلم الليل دنس

وانجلى عن حلل فضية

ولم يشأ السباعي ان يشير الى اسم ابن وكيع تحتها وانما أثار على قوله

فسباه ، وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب .

واليك الان نموذجاً من ترجمته -

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الغلس وانبرى في الشرق رام أرسلنا
اسهم الانوار في هام القلاع

صاح بي في النوم طيف هاتها نلأ الأكواب من ياقوتها
فما تنضب في كأساتها نخرة الروح وترتد الى
منبع في الغيب مجمل البقاع

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظاماً في العراق الشاعر
الاديب السيد محمد الهاشمي . وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى
نظمها في العربية، فجاءت الترجمة طبقاً للاصل الفارسي وآية في الرقة
والسلاسة، وهي اصح ترجمة ظهرت الى الان في العالم العربي . ومنها :

يا الهى اذا جنيت فأثمى يا الهى على شبابي وجسمى
وعلى نفسى الحزينة جرمي انا جان رجوت عفواً وصفحاً
منك قد غره رضاك فجارا

جيئى في الدنيا اذى واضطراب وبقائى نحير وارتياب
وبقسر يكون منى ذهاب اى قصد من جيئة وبقاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالباب !

بيد مصحف وكأس بأخرى تارة بالحلال آتي ومرا
بجرام آتي فأحسل وزرا لست تحت السماء بالكافر الح
ر ولا كنت كامل الاسلام

يا الهى أوعدتنى بعذاب انا منه في حيرة واضطراب
اين قل ياربى مكان العذاب حيثما كنت لا عذاب فاني
هو ؟ اذ اتم بكل مكان

ثم أعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى فترجم
الرباعيات من الاصل الفارسى رباعية برباعية نثرأ ثم نظما، شيئاً بعد شىء،
واختار منها مائة وثلاثين رباعية. فمن ترجمته :

أنا ان لم أحس السلافة يوماً كان اللهم فى فؤادى ديب
قيل لى تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتى فكيف أتوب

لعبوا بالتراب دهرأ الى ان جبلوا منه فى النهاية طينى
أنا ما ان أكون أحسن منى فمن الكور هكذا أفرغونى

يا يد الماشطات حسناء رودأ مشهراً وجهها من الحسن زهرا
الغبار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

أما في مصر فأول من نقلها عن الفارسية شاعر الشباب أحمد رامي ،
وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤ م ، ولم اطلع عليها الا عام ١٩٢٠ م ، وقد
درسناها بامعان فاذا هي دون ترجمة الزهاوي والمهشمي بكثير . فمن ترجمته :

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر نادى من القبو غفاة البشر
هبوا املا واكأس الطلاقبلى ان تفعم كأس العمر كف القدر

أحس في نفسي ديب الفناء ولم أصب الا الاسى والشقاء
واحسرتا ان حان حبنى ولم يتح لفكرى حل لغز القضاء

أفق وصب الخمر انعم بها واكشف خفايا النفس من حجبها
ورو اوصالى بها قبلما يصاغ دن الخمر من تربها

— ٣ —

الرباعيات في اللفظة التركية

واول من ترجم الرباعيات الى التركية هو المرحوم المعلم فيضى ولم
يترجم اكثر من مئة رباعى .

ثم أعقبه « مستجابي زاده عصمت » وهو أحد أدباء الأتراك
ثم عبدالله جودت الأديب الترى الكبير ، وقد اشتهرت ترجمته اكثر
من غيرها ، ومن ترجمته :

— ٣٥ —

باشمده يانان حسرتكه تاج ديرم
راهكده دوشوب اوله يه معراج ديرم
هم شاعر ازاده وهم بنده حسن
به كوكله شاهنشاه محتاج ديرم

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك وألف كتاباً بالاشتراك
مع الأديب المحقق حسين دانش، وهو أنفس كتاب ظهر في اللغة التركية
في رباعيات الخيام .

ونشر قبل مدة من الزمن الأديب حافظ عبدالقادر الأزميري
رسالة صغيرة تضمنت ترجمه مختصرة لعمر الخيام .

وترجم الشاعر التركي الشاب رفعت احمد بك اربعين رباعياً فوق كثيراً
وآخر من نقلها الى التركية الأديب التركي الفاضل حسين رفعت
بك وقد ترجم (١٥٨) رباعية فاجاد كل الاجادة في النقل وحافظ
على روعة الاصل الا انه استعان كثيراً بالالفاظ الفارسية وهو النقص
الوحيد الذي يؤخذ عليه . فمن ترجمته :

بر سحر وقتي ندا كلدي بزم ميكدنه دن
ديدي : اي رند خرابات نه دور ورسك ياهو ؟
قالق كه لبريز ايده لم (مي) ايله بيما نه لري
او لما دن بوش قافاز خاك سيهله ملو

* * *

بوكيجه ساغر كلرنك ايله بن
دلى تنشيط ايده يم تابصباح
عقل ودينى بوشايوب اوج كره
ايده يم باده بي نزيج ونكاح

— ٤ —

الرباعيات في اللغة العبرية

وأول من نقل الرباعيات من الفارسية الى العبرية نظاماً المحامي سليم
افندى اسحق وهو من اصدقاءنا المطاعين على دقائق الشريعة الموسوية
وتأريخها وفلسفتها وقد ضرب في اللغات الافرنجية بسهم وافر، وهو عدا
ذلك شاعر باللغة العبرية . فمن ترجمته .

חוך הגלגל המצחק

בבני עולם בגלגולו

יש איש אחד ויש שני

אשר טיב לו בעמלו

זה המכין סוד הגלגל

גם עגולו גם פעלו

וזה אשר אין יודע

בין ימינו לשמאלו

נופרים יאמרו העולם הוא דבר ישן
חדש יאמר איש מאמין ודרשן
ואחר כי תחת עפר אישן
מה לי אם הוא חדש ואם ישן נושן

יום מחר אהרית עוד לא אנני בו
יום אתמול טרם בואי בלא
יום שאני בקרבו
תאמרו תלוי במזל
אם כן איך נקי בריבו
יהיה אושם בעלילה
בלי דעתו ישא חובו
ויכנה שם אב העולה

١ - في هذا الفلك الذي يسخر بيني البشر عندما يدور يوجد واحد
وثاني له ، يرى خيراً في كل ما يعمله ذاك ، هو الذي يفهم سر الفلك
واستدارته وصنعه وذاك الذي لا يدرف ما بين يمينه وشماله .

٢ - يقول الملاحدة ان العالم قديم ، ويقول المؤمنون المتفقهون
انه حديث . اما انا - بعدما ارقد تحت الثرى - فوالى وله جديداً كان
ام حديثاً .

٣ - ان الغد لست به بعد . ويوم اس قد مر قبل ان آتبه .
وتقولون ان اليوم الذي انا فيه معلق بيد الاقدار . اذا فلماذا يكون
البرى مجرمًا من غير أن يقترف اثماً فيكون هو الضال المخطئ ؟

ثم اعقبه صديقنا الودود عزرا افندي حداد وهو أديب بالعربية
وشاعر بالعبرية . وقد نقل ١٦٠ رباعية نظماً الى العبرية . فمن ترجمته :

בְּךָ בִּקְרָה מִיָּמַי הַבְּלִי '

אֲשׁוּב לְבְלִי מֵעַם שְׁפוּר :

וְכִבּוֹא עָרֵב וְהֵן אֶצְלִי —

פּוֹסֵי ' אֶת יִשְׁפָּתַי פִּעֵכֶר .

עַתָּה מִחֲמַר יִצְרָתַנִּי '

— אֱלֹהָהּ — יִדְעֵם עַלְוָמִי .

מִמֶּדֶה הָיָה כָּל מִצְפּוֹנָי — :

רוּחִי ' בְּשָׂרֵי ' עֲצָמִי .

אִם — בֵּן אֲמוּא ' לָמָּה בְּיוֹם

תִּקְיַמְנִי לְדִין ' אֶרְשָׁע ?

לָמָּה בִּעַת מִשְׁפָּט אֲיוֹם '

אֶמְצָא טוֹאָה בְּלִי יֵשַׁע ?

١- ولکم حاولت صباح كل يوم من ايامي الفانية ان اتوب عن
شرب الخمر، لكنني عند المساء كنت ارى الكأس بقربي، تحرق شفني
بخمرها المعتقة .

٢- رباہ انک یوم جبالتی من صداصال کنت عالمآ بكل خفایای ،
ومنک منشأ کل ما آتیہ الآن سرأ ، منک روحی ، منک لحمی ، منک
عظامی .

٣- فاذا كان الامر كذلك ، فلماذا اذا اعتبر مجرمأ يوم اقف
امامك يوم الدين ؟ ولماذا نحيق بي المصائب عند محامتي الهائلة امام
جلالتك الربانية ولا اجد حولي من يدافع عني ؟



عصر الخيام

نشأ عصر الخيام في عهد الدولة الساجوقية الكبرى التي بسطت سلطانها على خراسان والرى والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز وهو يقابل العصر العباسي الرابع أو القرنين الاخيرين من الدولة العباسية ، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ . وقد أسس هذه الدولة ركن الدين ابو طالب طغرل بك ، ودامت حياتها ٩٣ سنة من سنة ٤٢٦ الى ٥٢٢ هـ وانقرضت على يد شاهات خوارزم ، وقد حكمها ثمانية سلاطين . هم : طغرل بك ، وأب أرسلان ، وملكشاه ، وعمود ، وبركياروق ، وملكشاه الثاني ، وابو شجاع محمد ، وابو الحارث سنجر . وقد عاش الخيام في كنف هذه الدولة فقربه سلاطينها . منهم أب أرسلان الذي أنعم عليه براتب سنوي يبلغ (١٢٠٠) مثقال من الذهب ، وملكشاه الذي عهد اليه امور الرصد فرتب له الخيام « الزيج الجلالى » وكان ينزله منزلة الندماء ويجلسه معه على سرير واحد .

الوضع السياسى

كانت الخلافة في هذا العهد ضئيلة السلطان ، وكان نفوذ الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم ، ولم يكن لهم من الامر سوى ذكر اسمائهم على المنابر ، وكانوا كالألة الصماء في يد سلاطين آل بويه ، وفي عهد عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه في بغداد وزالت هيبتهم من القلوب ، وفيه

استولى السلاجقة على بغداد ، وفيه ظهرت الطائفة الباطنية فارعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصى على القلم تصويره ، وفي عهده هز التعصب الديني اعصاب المسيحية في اوربة فنظموا الحملات الهائلة التي أطاق عليها اسم الحملات الصليبية ، فعاثوا في البلاد الاسلامية فساداً ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخرّبوا المدن الاستيلاء على اورشليم والقدس . وفي عهد بسط السلاجقة سلطانهم على البلاد الاسلامية الا بعضها فكان في الاندلس والمغرب الاقصى دولة الملتدين ، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين (٤٨٠ - ٥٥٠) ثم من بعده علي الى سنة ٥٢٧ هـ وفي افريقية من آل زهرى تميم بن المعز بن باديس الى سنة ٥٥١ هـ ، ثم يحيى بن تميم الى سنة ٥٥٩ هـ ، ثم علي بن يحيى الى سنة ٥١٥ هـ . وفي مصر من الفاطميين المستعلي ابو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٥٤٩ هـ ، ثم الامر باحكام الله على المنصور بن المستعين الى سنة ٥٢٤ هـ وفي زبيد من الدولة النجاشية الامير بن نجاح الى سنة ٥٤٩ هـ ، ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ هـ ، ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ هـ . وفي صنعاء ومهرة ظهر الامير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢ هـ الى سنة ٥٠٢ هـ ، ثم عبد الله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ هـ ، ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ هـ ، ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماس . وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية في آسية كان محكوماً بدولة السلاجقة (١) .

(١) تاريخ الخضرى

ظهور الرواة السجوقية

يبتدىء حكم آل بويه سنة ٥٣٣٤ وينتهي سنة ٤٧٠ هـ ، وهم من الديلم وقد حكموا البلاد ولقبوا انفسهم بالسلاطين ، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم . اغتصبوا السلطان من الخلفاء العباسيين واستولوا على شؤون الدولة ، وفي منتصف القرن الخامس الهجرى ضعف نفوذهم وتفرقت كلمتهم واضطرب امرهم فلم يكن في وسعهم ان يحفظوا بغداد من الطوارىء وان يدفعوا عنها الملمات واتفق أن حدث يومئذ حادث كان سبباً في زوال ملكهم ونزيق شملهم ، وذلك ان ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري - وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة - أراد أن يزيل الخلافة عن بني العباس فكتب الى الخليفة المستنصر العلوي بمصر ليدخل في طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد فعلم الخليفة القائم العباسي بذلك فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده (٢) ويستغيث به فهب طغرل بك وكتب الى الامصار أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها ، وكتب اصحابه بالدينور . قرميسين وحلوان وغيرها ، فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ، ولما وصل طغرل بك الى حاوان وانتشر اصحابه في طريق خراسان ارسل طغرل الى الخليفة يبالغ في اظهار العبودية والطاعة ويعد الاتراك المقيمين في بغداد بالاحسان والجميل ، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكتبة

(٢) الفخرى ٢١٥

طغرل بك : يبذلون له الطاعة والخطبة ، فأمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا
لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له في يوم الجمعة ٢٢ المحرم ٤٧٤ هـ
ودخلها في الخامس والعشرين منه ، وعندئذ قبض على آخر سلاطين
بنى بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق
وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهي دولة السلاجقة ، ومن أشهر
سلاطين هذه الدولة ألب أرسلان ، وفي عهده أسس وزيره نظام الملك
رفيق الخيام في المدرسة وطالب العلم - المدرسة النظامية ببغداد (١) فتم بناؤها
سنة ٤٥٨ هـ ، وملكشاه الذي اتسع ملكه اتساعاً عظيماً فخطب له من
حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أقصى بلاد الإسلام في الشمال إلى
آخر بلاد اليمن ، وجمعت إليه ملوك الروم الجزية . وقد عاش عمر الخيام
محترماً الجانب ، موفوراً الكرامة ، في كنف هذين السلطانين ، وكان محبوباً
لديهما ، وقد أنعم عليه الأول براتب سنوي ، وكان الثاني ينزله
منزلة النديم .

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التي حدثت في عهد عمر الخيام ، وأشرنا إليها
في الكلمة السابقة ، الحروب الصليبية ، تلك الحادثة التي كان لها الأثر
العظيم في الأقطار الإسلامية . وليس من قصدنا أن نتبسط في شرحها

(١) اقرأ تفصيل البحث في مذهب تاربخ مساجد بغداد للالوسي

والاثرى

في كتابنا هذا فانها حوادث عصور استمر امرها من سنة ٤٩٠هـ الى ٥٦٩هـ
وانما نريد ان نمر بها على سبيل الاستطراء لاجل ان نتبين الوضع السياسي
في عهد الخيام .

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين في حروب دامية دامت قرنين
اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة
ودول الاتابكية التي تفرعت عن السلاجقة ودول الايوبية ودول
المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى في تحليل هذه
الحملة واسبابها مما هو مذكور في كتب التاريخ . وقد فتح الصليبيون
بلدان المسلمين واستولوا على معظم المدن الواقعة في الانضول والشام
واسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادي
الفرات سنة ٤٩٠هـ ثم انطاكية سنة ٤٩١هـ ، وقد ارتكب الصليبيون من
الجرائم ما لا ترتكبه الوحوش الضارية ولا سيما عند فتح بيت المقدس ،
وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيداً أعدا الخلفاء الفاطميين
الذين قصر واعداء هذا الواجب لاسباب ذكرها الـكتبة والمؤرخون .
هذه الحوادث هي اهم الحوادث السياسية التي حدثت في حياة عمر
الخيام ، وهي تتلخص في اربعة وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢)
قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية
اعني الحشاشين . وقد اوجزنا في بيان الثلاثة الاولى ، وبقى علينا ان نذكر
شيئاً عن الباطنية الحشاشين .

ارسماعيلية — الباطنية

من أفضع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين . واضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم ، الحسن بن الصباح ، ولم يكن الحسن هو المؤسس الا دل هذه الطائفة الجهنمية وانما بعثها من مرقدتها ووجدد دعوتها وأشعل نارها بعد ان نضدت مدة قرنين ، وكانت في بادى امرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرامطة ، واخذت طوراً مهما في عهد حسن المذكور ، واليك تفصيل ذلك .

لما مات الامام جعفر بن محمد الصادق ادعى فريق من المسلمين بان الامام بعده اسماعيل نصاً عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة ابيه ، فمنهم من يقال انه لم يموت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقري ، والفائدة بالنص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره . فالامام بعده اسماعيل محمد بن اسماعيل ، هؤلاء يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهر بن القائم من بعدهم ، وهم الباطنية (١)

انقذاع وقرمط

وكان لجعفر بن محمد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديسان

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٢٧—١٢٨)

المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق (١) انه هو المؤسس الاول
للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وذلك في
سجن والى العرق ، غير ان ابن النديم يذكر في فهرسته (٢) ان الداعية
الاول هو عبد الله بن ميمون المذكور وهو من اهل قوزح العباس بقرب
مدينة الاهواز. والصحيح هو ما ذكره ابن النديم فيموت لم يؤسس
الباطنية وانما اسس الفرقة التي عرفت باسمه وهي الميمونية ، التي اظهرت
اتباع ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الذي دعا الى الوهية على ابن ابي
طالب ، وكان ميمون وابنه عبدالله ديسانين (٣) وكان عبدالله ذي
الفؤاد على الهمة ملحداً يطمح الى الرياسة والامرة على الناس ، فبث
لدعاة في انحاء البلاد سراً ولا سيما في الكوفة ، فأجابه في هذا الموضع
جل يعرف بمحمد ان بن اشعث ، ويلقب بقرمط لقصر كان في مته
وساقه او لقرمطة في خطه او خطوه ، وكان هذا كاراً من اكرة سواد
الكوفة في قرية يقال لها قس بهرام ، واقام قرمط بكلواذى ، ونصب
له عبدالله بن ميمون رجلاً من ولده يكتبه من الطالقان وذلك في سنة
٢٦١ هـ ، ثم ظهر بعده في الدعوة الى الباطنية ابو سعيد الجنابي وكان من
مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ، ثم قام بالدعوة بعد ذلك
سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون بن ديسان القداح فغير

(١) ص ٢٦٦

(٢) ص ٢٦٧ خط

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٩٤

اسم نفسه ونسبه وقال لا يتباعه ، انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر الصادق ، ثم ظهرت فتنة بالمغرب ، وظهر منهم المعروف
بابن كرويه بن مهرويه الدنداني ، وكان من تلامذة حمدان قرمط ، ثم ظهر
منهم مأمون اخو حمدان قرمط في فارس ، ودخل رجل منهم أرض الديلم
يعرف بابي حاتم فاستجاب له جماعة من اهلها .

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) أن
الدعوة الباطنية انتشرت اولاً في زمان المأمون والمعتمد ، وان الافشين
قائد جيوش المعتصم دخل في دعوتهم ، وان بابك الخرمي كان من
مقتضى هذا المذهب .

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات
وفعلوا اموراً تقشعر منها الابدان ، وبقوا يعيشون في الارض فساداً
الى سنة ٣١٢ هـ فقد ظهر في ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن
فهجم على البصرة واغتصمها ثم قطع طريق الحجاج وسبي الحرم والذراري
وفي سنة ٣١٧ هـ دخل مكة وقتل من وجدته في الطواف ، وقيل انه قتل
بها ٣٠٠٠ نسمة ، واخرج منها ٧٠٠ بكر ، اقتلع الحجر الاسود وحمله الى
البحرين ، وفي سنة ٣١٨ هـ قصد بغداد ولما ورد هيت رمت امرأه من
سطحها بلبنة فقتلته ، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهب ربحهم الى ان ظهر
منهم الحسن الصباح الذي تعلم مع عمر الخيام ونظام الملك في نيسابور ،
فكان المؤسس الثاني لهذه الطائفة التي جعلها فيما بعد دولة توارث السلطان
عليها اولاده في قلعة الموت .

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية، ويؤيد ذلك أنهم أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات. ظهر منهم رجل يعرف بابن أبي زكريا الطامي سنة ٥٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع من أظفار ناراً بيده وبقطع لسان من أظفائها بنفخة، فنكاح البنات والاخوات والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية. أما كونهم من الدهرية فلأنهم يرفضون المعجزات، وينكرون الوحي، ويؤمنون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد بالحشر والمعاد وغير ذلك، وبما يؤكد قولنا ما جاء في الرسالة التي بعثها عبيدالله ابن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي فقد أوصاه فيها وصية قال فيها:-

«أدع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه. وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فن أنست منه رشداً فأكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفاسق فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا، وأنا وإياهم يجمعون على أن نواميس الانبياء... وعلى القول بقدم العالم لو لا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مديراً لا يعرفه، وذكر في الكتاب إبطال القول في المعاد والعقاب. وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا، وأن العذاب إنما هو اشتغال

اصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد ،
وقال فيها ايضاً : وان أهل الشرائع يعبدون الها لا يعرفونه
ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم ، وأكرم الدهرية فانهم منا
ونحن منهم ١١ ،

وقال فيها ايضاً : انى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة
والزبور والانجيل ، وبدعوهم الى ابطال الشرائع ، وابطال المعاد والنشور
من القبور ، وابطال الملائكة فى السماء ، وابطال الجن فى الارض ، وأوصيك
بان تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عوز لك
على القول بقدم العالم . وينبغى ان تحيط علماء بخاريق الانبياء
ومناقضاتهم . ١٢ ،

وقال فى آخر رسالته : وما العجب من شىء كالعجب من رجل يدعى
العقل ثم يكون له أخت او بنت حسنة وليست له زوجة فى حسنها
فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي ١١ ولو دلم الجاهل لعلم انه أحق
باخته وبنته من الاجنبي ١١ اما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم
الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الآله الذى يزعمونه وأخبرهم
بكون ما لا يرونه ابدأ من البعث من القبور والحساب والجنة والنار ١١
حتى استعبدهم بذلك عاجلاً وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته
خولا واستباح بذلك اموالهم بقوله : قل لا أسألكم عليه أجراً الا
المودة فى القربى ، فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد
استعجل منهم بدل أرواحهم وأمواهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل

الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار أو عذابها الا ما فيه أصحاب
المشرايح من التعبد والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والخج ١١ ،

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور : « وانت واخوانك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها
المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع اصحاب النواميس فهنيئاً لكم ماثلتم
من الراحة من امرهم ، .

و بعد فهذه الرسالة وحدها كافية للتدليل على ان اصحاب هذه الطائفة
اباحية دهرية ملحدة ، هدامة لارقي النواميس الاجتماعية التي نشرها
الانبياء المصلحون .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين في الدعاية ، لهم اساليب خاصة بهم
في أمر الدعوة فكانوا لا يفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم
وانما يندرجون معهم فيكلمون العامى بطريقة تختلف عن الطريقة التي
يكلمون بها العالم جرياً على قاعدة « ظم الناس على قدر عقولهم » فأحدثوا
مراتب للدعاية ، وهي التفريس ، والتأسيس ، والتشكيك ، والتعليق ،
والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالايمان والجهود ، والخلع
والسلخ . فيشرع الداعية في تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل الى مرتبة
الخام والساخ وهي الدرجة الاخيرة التي يصبح بها الباطني ملحداً بحتاً ، وبها
هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب ان يتصف بها

الداعية لبث الدعوة (١) .

وقد كتب دعواتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس لتنفيذ أغراضهم و بث مبادئهم ، ومنها ما لا يجوز الاطلاع عليه الا بعد ان نمر على الباطني مدة لا تقل عن أربع سنين . فن كتبهم كتاب الرحي والدولاب ، وكتاب الحدود والاسناد ، وكتاب اللامع ، وكتاب الزاهر ، وكتاب الميدان ، وكتاب النيران ، وكتاب الملاحم ، وكتاب المقصد ، ولهم البلاغات السبعة ، وهي : كتاب البلاغ الاول للعامه ، وكتاب البلاغ الثاني لمن هم فوق هؤلاء قليلا ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة ، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب سنتين ، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سنين ، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب اربع سنين ، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع ثم الشرائع واصحابها (٢) وهناك رسائل وتعليقات كثيرة لرسالة القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي وغيرها ، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب فلم أظفر بتأليف او رسالة مما كتبه و يظهر أن كتبهم ابيدت واحترقت بعد زوال امرهم .

هذا مجمل ما فصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم ، وذلك قبل ظهور الداهية الاكبر الحسن الصباح .

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٤

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ خط

مبادئ الباطنية الشائعة في عصر الفخام

دار الحكمة

في منتصف القرن الرابع الهجري زحف القائد الكبير جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي بجيوشه الى مصر وانتزعها من الاخشيديين واسس فيها القاهرة ، وبعد بضع سنين دخلها المعز واعلن نفسه خليفة المسلمين فيها واسس فيها الدولة الفاطمية ، وكان النظام الادارى فيها غريباً في بابه اذ كانت المهمة الاولى المعنى بها هي بث الدعاية للدولة المذكورة لذلك احدثوا وظيفة «داعى الدعاة» وكان عاينها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ودرجته تلى درجه قاضى القضاة ، وكان الدعاة يتلقون المبادئ من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسلامية متبعين منها جأ مسنوناً ، وفي زمن الحاكم بامر الله لذي تولى الحكم بعد ابيه المعز سنة ٣٨٦ هـ نشطت الدعاية واتسعت في البلدان اتساعاً عظيماً . وكان الحاكم مضطرب الرأى عصبى المزاج ، شاذاً في اطواره و اخلاقه ، سفاهة للدماء قتل عدداً كبيراً من امثال اهل دولته ، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه ، فكان تارة يأمر بسب الصحابة ، وطوراً يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر ، وأمر مرة بقتل الكلاب ، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسماك الذى لا قشر له والعنب ، وقد لاقى النصارى واليهود منه الوان العذاب خلال حكمه . وقد وصفه ابن خلدون في تاريخه (ج ٤ ص ٦٠) « بأنه كان مضطرباً فى الجور والعدل والاخافة والأمن والنسك والبدعة ، غير أن

الذى يهمننا من سيرة الحاكم بامر الله مواظبته على بث الدعوة السرية
الباطنية باعداد الوسائل وتنظيم المناهج بتأسيس (دار الحكمة) في مصر.

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هي الاسس والاولى التي وضعها عبد الله
ابن ميمون بن ديسان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التي بثها
الدعاة في عهد الباطنية الاولى والتي ذكرت في رسالة القيرواني الى سليمان
ابن الحسن ، وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور وتمكين فكرة
الاحاد في قلوب الناس . وكانت درجات الدعاية في دار الحكمة تسعاً
وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التي كانت سبعة فقط ، ولكن
الغاية كانت واحدة وهي هدم الدين الاسلامي ليس غير .

المؤسس الثاني

هو الحسن بن الصباح الذي ولد حر الى سنة ٤٣٠ هـ وكان قد تلقى
علومه على الامام موفق النيسابوري مع عمر الخيام ونظام الملك
الوزير في نيسابور ، وكان يدعى انه ينتمي الى يوسف الحميري ، احد
امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ومنها الى الري
الا ان اهالي طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده - واسمه علي -
هو من احدى قرى خراسان ، ولعل الصباح جده او لقب ابيه .

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذي
تعاهدوا على انفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون

في نيسابور، فرحب به نظام الملك وقدمه الى السلطان ملكشاه وعينه كبير
الحجاب الا ان الحسن العالى الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا
المصب فقد سرات له نفسه الجشعة الايقاع بمن أنعم عليه وأكرمه
فاخذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير،
واتفق ان ملكشاه طلب يوماً الى نظام الملك أن يقدم له الموازنة
فاستعذره نظام الملك وطلب اليه ان يمهله سنة واحدة فلما باغ ذلك حسن
الصباح قابل الملك ووعدته بانه سوف يقدم له الموازنة بعد اربعين يوماً
وقد فعل ذلك وقام بما وعد به خلال الاجل المضروب، فأحس نظام
الملك بالدهسائس التي يدبرها الحسن فومد الى الحيلة للتخلص منه فأخفى
اوراقاً سرية تعود الى الدولة. ولما اطلع السلطان على الاوراق وجد فيها
نقصاً فوبخ حسناً ووعد عليه، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب الى
اصفهان واختفى عند رجل يسمى (ابا الفضل) وفي مدة بقائه عنده
كانت تظهر عليه حالات عصبية وانفعالات نفسية وقد قال ذات يوم لابي
الفضل « لو كان لي صديقان صادقان لقتضيت على حكومة هذا الترى وهذا
القروى، يريد بالاول لملك وبالثاني وزيره نظام الملك، فأيقن ابو الفضل
بوجود اضطراب عقلي فيه فكان يعطيه المخدرات الروحية والمشروبات المتسكنة
وقد مر على هذا الحديث عشرون عاماً توفي خلالها ملكشاه ومات نظام
الملك بطعنة باطنى، واشتهر امر حسن وكانت له الرياسة، فقال لصديقه
ابي الفضل في قلعة « الموت » : من كان منا مجنوناً يا ابا الفضل ؟ أنت
ام انا ؟ من الذى كان قميناً بان يأخذ المشروبات والمخدرات التي كنت

تفضل على بها في اصفهان ؟ أرايت كيف نفذت كلمتي عند ما وجدت
صديقين صادقين (١)

ثم هجر الحسن اصفهان وشد الرحال الى مصر فلاقى حفاوة من
الخليفة المستنصر، ثم انخرط في سلك المحفل السرى وتعلم المبادئ
الاسماعيلية، وبعدها تشربت روحه بهذه الافكار فقل راجعاً الى فارس واخذ
يبث الدعوة في نواحي خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم فاستولى اولاً على
قلعة في نواحي الديلم يقال لها الر، ذبار، وكانت هذه القلعة لقهاج
صاحب ملكشاه فاخذ من الباطنية الفأ ومثى دينار وسلم القلعة في سنة
٤٨٣ هـ وذلك في ايام ملكشاه ثم استولى الحسن على قلعة الموت،
وتحصن بها هو واتباعه، واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء
١١٨ سنة وحكمها (ثمانية) اشخاص من اولاده واحفاده .

تعالم ابن الصباح

تلخص تعالم ابن الصباح فيما يلي :

(أ) - الدعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة
الناجية من سائر الفرق بان لها اماماً وليس لغيرهم امام
(ب) - ضرورة استعمال العقل في معرفة الله والنظر الى جانب تعالم
المعلم الصادق .

(ج) - والناس فرقتان من جهة تعالم المعلم الصادق فالاولى ترى

(١) تاريخ الاسلام للبوزي (ج ص ٣٩١)

الاستعانة في معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه ،وقالت الثانية بالآخذ في كل علم من معلم وغير معلم . فالحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين .

(د) - بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائز .

(هـ) - ان في العالم حقاً وباطلاً وان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى والتعالم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأى مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها .

(و) - التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً، والنبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة .
وقد منع الحسن العامة عن الخوض في المعلوم وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال (١)

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعية الجهنمية سبعا بدلا من تسع وهي لا تختلف في الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة » ،

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٤٧ - ١٥٢) وقد ذكر المؤلف ان هذه الفصول كانت اعجمية فترجمها .

—الرئيس—

ويسمى السيد أو شيخ الجبل، وهو كبير الطائفة الاعلى وييده الجبل
والعقد وله الامر والنهى .

—الدعاة—

وهم الكبار المقدمون ومقامهم فى ثلاث ولايات توجد فيها امنم
قلاع الطائفة وهى بلاد الجبل وقهستان والشام، وهؤلاء يتلقون اوامرهم
من الرئيس وينفذون اوامره السامية .

—الرسل—

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير
وحضهم على اقتفاء مبادئ الطائفة .

—الرفاق—

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادئ السرية .

—الفدائيون—

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العدا .

—المبتدئون—

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية .

—العامه—

وهم الرعاى وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها، وعلى العامة
فى فتح القلاع ومهاجمة البلدان (١)

(١) دورى ص ٣٩٧ ترجمة الدكتور عبد الله جودت .

الفتنة

علمنا بما تقدم أن الدرجة العليا هي درجة الرئيس أو السيد أو شيخ الجبل، والدرجة الدنيا هي درجة العامة ومنها يترقى إلى درجة التلميذ ومنها إلى درجة الفدائية، وفي هذه الدرجة يكون الباطني عضواً ميمياً يعتمد عليه في إدارة شؤون الطائفة ولا يرقى أحداً هذه الدرجة إلا إذا كان شديد البأس كثير الطاعة فاذا أنس الرئيس من أحدهم استعداداً أو لم ولجة فاخرة له وناله أثناء الطعام نباتاً مسكراً من نوع الحشيشة، حتى إذا فعلت الحشيشة فعلها أمر بنقله إلى جنة غناء قد غرست على حافات جداولها طيب الفواكه وأنضر الزهر والورد، ونصبت في أحواضها الفوارات، وأقيمت فيها الرواشن والغرف الصينية، وفرشت بانجر الديباج واثمت بالرياش النفيسة، وهناك في تلك الردهات البديعة المظلمة بعرائش الكرم تطوف عليه الحسان باكواب الخمر وأباريقها، ويضربن على رأسه بالالات الموسيقية ذات النغمات الشجية، ثم ينقل فوراً إلى المكان الذي فيه الرئيس وعند صحبه يخبره الرئيس بأنه لم يبرح مكانه وأنه أمر روجه أن تطوف بالفردوس فيندهش الفتي بما رآه، وعند ذلك يجعل نفسه طوع إرادة الشيخ طمعاً بالجنة ويكون بعده آلة صماء يديرها كيفما يشاء، والسكى تعرف مبلغ اطاعة الفدائي للرئيس انقل لك القصة الآتية (١): أرسل ملكشاه السلجوقي يوماً رسولا إلى الحسن بن الصباح يدعو إلى الطاعة ويهدده أن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه — والرسول

(١) نقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص ١١٧

يشهد ذلك - اريد ان انفذكم الى مولاكم في حاجة فن ينهض له ؟
فاشرب كل منهم لذلك، فاوماً الى شاب منهم وقال له: اقتل نفسك الجذب
سكينة وضرب بها غلصمته فخر ميتاً او قال لآخر: ارم بنفسك من القلعة!
فالقى نفسه فتمزقوا ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له: اخبره
ان عندي من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب!!

— النتيجة —

ولبت الحسن في قلعة (الموت) حتى توفي فيها سنة ٥٢٠ او ٥١٨
على رواية دوزي بعد ان حكمها (٣٥) سنة وقد اتفق الباحثون على انه
كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة، عالماً في الفلك والهندسة،
متضلعاً من الاراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس، قاسي القلب دساساً
فناكاً. وقد تواردت الحكم على الموت ابناؤه الى سنة ٦٥٠ حيث قضى على
الطائفة المذكورة هلاكاً كالتاتاري وبها انطوت اشنع صفحة في التاريخ
الاسلامي.

وبعد فانتا لم نذكر هذه الابحاث بالاسهاب الا لاننا نبغى ان نبرهن
بان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية في عصره وان له اتصالاً قوياً بهم
ونكاد نجزم بانه كان داعية من دعائهم وسنوفي هذا المطلب حقه في بحثنا عن
آرائه ومعتقداته

عصره العلمى

علينا بما تقدم بأن العصر الذى عاش فيه الخيام كان عصرًا بجيش بالاحن والفتن والحروب الدموية ، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون الكيان الاسلامى من جهة ، والباطنيون من جهة اخرى يدبرون المكاييد والدسائس لهدم الاسلام و يبثون الدعاة لنشر الاحاد بين طبقات المؤمنين ، وان الكلمة العليا فيه كانت للسيف . .

والان نريد ان نعلم مكانة العلم و منزلة القلم فى ذلك العصر . والذى يبحث ليسبر غور العصر الذى كان فيه الخيام يتبين ان أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هو تأسيس المدارس فى العالم الاسلامى ، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ذات مناهج مقررة وانظمة مشنونة اذ كانت العناية متجهة فى هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب . . .

المدارس

أما فى عصر الخيام فقد كثرت المدارس وأشهرها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ (١) ، والمدرسة البهية للبيهقى المتوفى سنة ٤٠٠هـ ، والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى ، ومدرسة أخرى بناها اسماعيل الاسترابادى الصوفى الواعظ ، وأخرى بنيت للاستاذ أبى اسحاق (٢) غير أنه لم يكن لهذه المدارس مالمدارس

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٨٢)

(٢) السيوطى (ج ٢ ص ١٨٥)

النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج

المدراس النظامية

هي المدارس العظيمة التي أسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن . وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد ، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وفتحتها سنة ٤٥٩هـ ، ودين لها مدرسين من أجلة العلماء في عصره مثل أبي اسحاق الكيرازي ، والامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل ، والامام الغزالي ، وأبي القاسم الدبوسي ، والشاشي ، والسيكاهراسي ، والسهروردي ، وبكال الدين الانباري ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠٠٠٠٠ دينار في السنة ، وقيل ان هذا الانفاق كان سبباً لقتله ، ولكن دوزي يرى انه قتل بطعنة باطنية . وقد وشى به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له : ان الاموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك يقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه في ذلك فأجابته : يا بني أنا شيخ أعجمي لو نردى عليّ في «من يزيد» لم أحفظ خمسة دنائير ، وأنت غلام تربي لو نردى عليك عساک تحفظ ثلاثين ديناراً ، وأنت مشتغل لذاتك ، منهمك في شهواتك ، وأكثر ما يصفد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب ، اذا احتشدوا كالخو اعنك بسيف طوله ذراعان ، وقوس لا ينتهي مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين

بدي ربههم فأرسلوا دموعهم، واطلقوا أسنتهم، ومدوا إلى الله إيمانهم
بالدعاء لك ولجيشك، فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعاتهم
تبيتون، وبركاتهم تطرون وترزقون،

مقارفة علماء الاسرار للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لناواة الباطنية
وطعن تعاليمها واظهار سخف مبادئها وتحذير الناس من سمومها، والباطنية
لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقط وإنما توسلت بالدعاية والاقناع
والهجاج أيضاً، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم وولائمهم،
لذلك كان لزاماً أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادئ بأقلامهم،
فكان القاضي أبو بكر الباقلاني أول من أشهر عليهم الحرب فألف كتاباً
سماه (كشف الاسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحققتهم، ثم تلاه
أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فجاد لهم مبيناً بطلان مذهبهم، ثم أعقبه ابن حزم
الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، ولم يقصر في رد كيدهم إلى نحوهم، ثم
جاء بعد هؤلاء حجة الاسلام أبو حامد الغزالي وكتب رسالة في
(فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والاسماعيلية وغيرهم من
الطوائف الباطنية والبدع في الاسلام، والرسالة محفوظة في المتحف
البريطاني الآن، وقد أطلق الرازي نحر الدين لسانه الذرب طاعناً بهم
من فوق المنابر، وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفاً على حياته (١).

(١) روزى (ص ٢٩٩)

وفي الحقيقة ان أعلام مؤلا الفطاحل قد أعانت السيف في القضاء
عليهم .

المقدمة

تبين مما اجملناه أنه— بالرغم عن الفن و الحرب ب الكثيرة التي حدثت
في عصر— الخيام كان لدولة العلم رايات مرفوعة ، وللعلماء مكانة
عالية في القلوب ، وكان تهاقت الناس على المدارس عظيما ، ويكفي أن
نذكر للتدليل على ازدهار العلم في العصر لخيامي أنه قد نشأ في ذلك
العصر ما ينيف على ثمانين ومئة فجل بين شاعر، ومفشي، ولغوي* ، ومؤرخ
ومتزجم للجماعات ، وجغرافي ، ومؤلف في السير والسياسة والادارة
والطب وغير ذلك من العلوم .

— — — — —

روح هذه العصر

قدمنا أن عمر الخيام نشأ وعاش في عهد الدولة السلجوقية الكبرى، وأنه حدثت في عصره أربع وقائع كبيرة، وهي: سقوط الدولة البويهية، وقيام الدولة السلجوقية، ونشوب الحروب الصليبية، وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل أوسع نطاقاً وأرهب شأناً.

هذا من الناحية السياسية، وأما الناحية العلمية فإن عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا إلى ذلك في بحثنا عن المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الوزير الشهير.

بقي علينا أن نعرف الروح السائدة في ذلك العصر لأن في اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير في ذلك العصر. وفي الحق أننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك ما إذا كان الخيام يمثل عصره أو لا، وهل في الإمكان اعتباره نموذجاً من التفكير السائد يومئذ، أو هل كان لهصر الخيام من الهيؤ الكافي لوجود شخصاً مثله أو، لا حتى لكان خياماً شاذ في عصره لا معرفة له به ولا قرابة بينهما في الروح والعلم والتفكير كأن يد الإقدار قدفته خطأ في هذا العصر لا لا شك ان من الصعب جداً معرفة الروح السائدة والوقوف على أسلوب التفكير على اختلاف ضروبه، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية، وبالجملة معرفة الصبغة التي اصطبغ بها ذلك العصر، لأن ذلك - فضلاً عن افتقاره إلى درس طويل،

وبحث عميق — تحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط ، وقد لا تظهر من هذا الدرس الذي يقتضى وقتاً طويلاً وجهوداً عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة ، وقد لا يهتدى الباحث في بحثه وتدقيقه في صفحات هذا العصر الى شئ من الحوادث والوقائع التي يصح ان تكون مقياساً لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث في هذه الحالة ان يفتش في بطون المؤلفات عن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمكن ان يعول عليه في اظهار الصورة الحقيقية للعصر الذي يدرسه ويبحث في الكيفية التي اوجدته ، والظروف التي احاطت به .

ومع ذلك فلست واثقاً بان ايراد الامثال والشواهد تكفى لتعريف الصبغة الغالبة في ذلك العصر اذ قد تكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الآراء المنحولة التي تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب ، أو من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التي تتداولها الافواه اما للاشادة بفضيلة شخص ، واما للخط من كرامته وشرفه ، وهي عوائد متعارفة في كل زمان وكل مكان .

ومن الواضح أن الخرافات والاساطير تكثر وتعيش طويلاً في المدن التي فيها مزارات ومشاهد دينية تؤمها الناس في اوقات معلومة وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة بظروفها ضعيفة فهي لذلك لا تكون عقيدة لدى الامم لانها مشيدة على أساس التخيل والوهم ، فلا يجوز للباحث والمؤرخ ان يعتد بها

أو يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور، ويجب أن لا يبرح عن بالناس أن
قابلية التخيل في الإنسان شديدة وأن الإنسان ميال بطبعه إلى المبالغة
فإن حديثاً يتداولونه عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره
عند غروبها .

جئت بهذه الكلمة تبرئة لاستغرابي جرأة الأديب المصري السيد زكي
مبارك إذا صدر حكمه على العصر الذي ابحاث فيه الآن بأنه عصر تغلب عليه
صبغة السذاجة (١) وقد استدلت على هذه السذاجة التي يتخيلها بالقصة
التي ذكرها المؤرخ خواندمير مؤلف كتاب روضة الصفا، وهي من
وصايا الوزير نظام الملك، وتتلخص في أن والده كان قد أرسله مع
الفقيه عبد الصمد إلى نيسابور ليقرأ على الإمام موفق النيسابوري
وكان السائد في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ
فيها وبلغ الغاية وانساق إلى العز والجاه والنعمة والثراء إلى آخر
القصة ١٩

وبعد أن أورد القصة برمتها علق عليها بأن الذي يعينه من هذه
الحكاية هو أن يكون السائد في عقيدة أهل ذلك الزمان أن من قرأ
العلوم العربية على الإمام موفق نبغ فيها وانساق إلى العز والجاه وتلك
(١) الف هذا الأديب كتاباً بعنوان الأخلاق عند الغزالي، وعصر الغزالي
هو عصر الخيام وقد ذكرنا اجتماعها وتحاورهما في قضايا عليية

خرافة لا يسبغها غير ضعاف العقول وصغار الاحلام . . .
ولو تروى قليلا وبحث في صحة هذه الوثيقة وعدم صحتها لتبين أن
هذه القصة قصة مهلهلة الجانب مزيلة الاركان قد نالت من الباحثين نقداً
ومن العلماء طعناً وعدم اعتماد وثيقة لائن نظام الملك الذي ذكر في هذه
الوصايا خبر اجتماعه في نيسابور مع عمر الحيام والحسن الصباح وتلقيه
العلوم في مدرسة الموفق التيسابوري ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت بأن
الحيام قد توفي على المشهور سنة ٥١٧ هـ والحسن بن الصباح توفي سنة
٥١٨ هـ وعلى هذا يقتضى ان يكون قد عاش كل من عمر الحيام والحسن
الصباح مائة سنة او يزيد . لذلك اعتبر الباحثون هذه الوثيقة ضعيفة
مشكوكا في صحتها ، وقد فات المؤلف الاديب ان الوثائق المشكوك في
صحتها لا يصح ان يحتج بها او يعتمد عليها لان الشك اذا سرى في جزء
الشيء سرى في كله لا محالة !

وان اعجب فعجبي من الاساتذة الفطاحل الذين منحوا هذا الاديب
لقب « الدكتوراه » من غير مناقشته في هذه الوثيقة !

ولنفرض ان هذه الوثيقة صحيحة لا شائبة فيها فهل يجوز ياترى ان
تعتبر كافية للاحتجاج بها على الصبغة الغالبة في ذلك العصر ؟ أعتقد انه
لا يجوز ذلك ابدأ لان مثل هذه الاساطير والخرافات موجودة في كل
زمان ومكان . واذا كان الامر كذلك — وهو الواقع — فلا يسوغ لنا
المنطق أن نحكم على كل العصور التي مرت بالبشر منذ فجر التاريخ الى
يوم الناس هذا بالسذاجة والبساطة !

وأعود فأقول ان من العسير على الباحث تحديد الصيغة الغالبة على العصر الذى وجد فيه عمر الخيام فان من الصعوبة بمكان ان تصور اليوم حقيقة الروح السائد في العصر الذى نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذى تعاقبت عليه تسعة عصور؟
وإذا كان لا بد من ذلك فاني أعتقد أنه يجب على الباحث في هذه الحالة ان ينعم النظر ويتأمل ملياً في احوال الطبقات الثلاث التي يتألف منها الشعب، وهم:

١ - الرعية اى جمهور الناس

٢ - الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء ارباب الحل والعقد

٣ - رجال الدين

أما أمر الرعية وما كانت تشعر به فشيء غامض، فليس في ايدى الناس وثائق ومستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور في ذلك العصر، والمؤرخون في ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب ولبل المديح للملوك والامراء جزافاً، تزلفاً اليهم وتقرباً منهم، هذا ما كان من أمر الرعية!

وأما الحكام في عصر الخيام، وهم الملوك والامراء والوزراء اولو الامر والنهي والحل والعقد، فان التاريخ - والعهد عليه - يقص علينا اخباراً سارة عنهم، ويحدثنا حديثاً قد اكسبهم مجداً ونفراً ا يقول التاريخ: انهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترمواهم وانعموا

عليهم بجلال الاله ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم
والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس
والمراصد وعلينا بالمسكاة الرفيعة والمنزلة السامية التي نالها عمر الخيام
من ملوك السلاجقة وما ذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا
عليه وأدبه .

وأما رجال الدين — وهم الذين يفرض عليهم الواجب الديني ان
يكونوا قدوة صالحة ومثلاً اعلى من حيث النزاهة والفضيلة والاداب
ليقتفى اثرهم الناس — فانا نرى أكثرهم في كل عصر وفي كل جيل حميلة
على الدين وادعيا فيه فكانوا بلية على الناس وقوة هائلة لتأييد الاستبداد
ومقاومة الحرية الفكرية ومناوأة الاحرار ومعارضة التجديد والاصلاح
وسيفاً مسلولاً يهدد الارواح وحرباً عواناً على كل حر يستعمل حقه
الطبيعي في ابداء رأيه وابرار فكرته ، وقد لعب رجال الدين — واقصد
المزيفين الكذابين منهم طبعاً لا المصلحين الذين فدوا ارواحهم لخير
الناس — لعباً عجيباً في الحياة الاجتماعية والسياسية . فقد ادخلوا
أنوفهم فيما لا يجوز ادخاله وهددوا كل من لا ينزل عند رغائبهم بالطعن
والتكفير ، وكم ازهقوا ارواحاً بريئة ، وسفكوا دماً زكية بقصاصة تسمى
في عرفهم «فتوى» ، فهذه العصبية التي يتبرأ منها الدين — وهي ملتصقة
به — على جانب عظيم من الحسد والنفاق والشقاق يأكل بعضهم لحم بعض
ميتاً ، واذا لمع منهم نابغ وظهرت مواهبه وبرزت اخلاقه واقترنت اسمه
بالذكر الحسن حاربوه بالدس ، ورصموه بكل ما هو شنيع ، والصقوا به

الردائل والموبقات ، والذي ينعم النظر في حالة هذا النوع من رجال الدين في عصر الخيام يجدهم على جانب عظيم من سوء الخلق وفساد السجية والحسد والنفاق ، وما أنا إذا اسوق شاهداً يدل على ما كان عليه هؤلاء من النقص في التهذيب وقلة المروءة .

كان شيخ الاسلام : عبدالله الانصارى ، وهو الامام ابو اسماعيل عبدالله بن ابي منصور محمد بن ابي معاذ علي بن محمد بن احمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مقر الخزر جى الانصارى الهروى الذى يتصل نسبه بأبي ايوب الانصارى ، من اجلة العلماء والمحدثين في عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة في زمانه غير انه كان حنبلياً ميالاً للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين في عصره ووجدوا عليه وارادوا له الكيد والوقية به واتفق ان قدم هراة السلطان الب ارسلان السلجوقى والوزير نظام الملك فاجتمع رجال الدين في هراة واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضراً ، انبرى له احدهم وقال ترى هل يسمح لى الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل ما بدالك ا

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعري ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك اشعري المذهب أطرق ، وبعد برهة قال : يا شيخ اجب الرجل ، فقال شيخ الاسلام : انا لا اعرف الاشعري ، غير ان العن هل من لا يعتقد بان الله فى السماء .

وفي رواية انه لما جاء السلطان ألب لرسلان الى هراة اجتمع مشايخ
البلد وفكروا في ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان على شيخ الاسلام
عبد الله الانصاري ، فقرر رأيهم على أن يصنعوا صنما صغيراً يخبثونه في
محراب الامام ، وفعّلوا ذلك ، ولما حضروا بين يدي السلطان اكثروا
الشكوى من الامام وقالوا له : انه قاتل بالتجسيم واذا اراد السلطان ان
يوقن بصدق مدعا نا فليأمر بارسال من يأتي اليه بالصنم من سجد الامام
فغضب السلطان وارسل في الحال جماعة من غلذاته ليحضروا له الصنم ،
ثم أمر باحضار شيخ الاسلام ، فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد
مشايخ البلد جالسين ووجد صنما صغيراً امام السلطان وكان السلطان
يهتر من الغضب والالم ا

فقال السلطان للشيخ : ما هذا ؟

قال الشيخ : هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال ا

قال السلطان : اني لا اسألك عن ذلك ، انما تزعم هذه الجماعة بانك

من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ : سبحانك هذا بهتان عظيم . وقرأ هذه الآية بصوت

ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فاعتقد السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه، ولما تحقق الامر علم

انها مؤامرة أريد بها الواقعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين

الكذابين ا

قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين في عصر الخيام كان سيئاً فاسداً

من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا أمر حادثتين وقعتا في عصره ، والذي
ينعم النظر في رباعيات الخيام يجد الخيام متبرماً متدمراً منهم وقد حمل
عليهم في رباعياته مشنعاً بهم ، من ذلك قوله :

ای مفتی شهر از تویر کار تریم
با این همه مستی ز تو هشیار تریم
ماخون رزان خوریم وتوخون پکسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

نحن يا مفتي المدينة أحسن منك عملاً ، ومع كثرة سكرنا هذا فانا
أصحى منك ، نحن نشرب دم ابنة العنقود ، و أنت تشرب دم الناس ،
فانصف فاينا شارب الدماء اي فتا كا

شیخی بز ن فاحشه گفتا مستی؟
هر لحظه بدام دیکری با بستی
گفتا شیخا هر آنچه کوی هستم
اما توجنا نجه مینهای هستی؟

قال شيخ لموس انت سكرى ، وفي كل ساعة مربوطة بحبيب ، قالت
يا شيخ فلما قلته في فهو صحيح لكن هل انت انت كما تظهر للناس .

و يظهر انه كان للتصوف شأن لا يستهان به ، وكان لارباب هذه
الطريقة - الدخيلة في الاسلام وهو منها براء - سيطرة هائلة على
الشعب الامر الذي حدا بالامام ابى حامد الغزالي ، وهو من معاصري

عمر الخيام ، ان يشهد عليهم وان يطعن في سلوكهم الذي دل في كل العصور
على تقي مزيف وورع كاذب ، واليك ما كتبه الامام عنهم :
« وفرقة منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ الزمان
كافة الا من عصمه الله عن الخطأ في بعض اطراف البلاد ان كان
ولسنا نعرفه ، فاشتغلوا بالسخافات والشطح وتاقين كلمات خارجة عن
قانون الشرع والمقل طلباً للاغراب ، وطائفة شغلوا بعبارات النكت
وتسجيع الالفاظ وتلفيقها واكثر همهم الاسجاع والاستشهاد باشعار
الوصال والفراق ، وغرضهم ان تذكر في مجالسهم الزعقات والتواجد
واو على اغراض فاسدة فهو لا شياطين الانس ضلوا واضلوا عن
سواء السبيل ، (١)

هذا ما أردنا ان نأني به لنم بحالة العصر الذي وجد فيه عمر الخيام
وقد فهمنا بما تقدم ان امر الرعية كان مجهولا ، وان السلاطين والامراء
كانوا يناصرون العلم والعلماء ، وان حالة رجال الدين كانت سيئة ، وان
عمر الخيام والامام الغزالي قد وصفا هذه الطبقة وصفا منطبقاً على
الحقيقة والواقع .

(١) احيا العلوم

شعره عصره

الايوردي

هو محمد بن احمد الاموي الايوردي احد تلامذة امام الحرمين ،
وكان الايوردي يطمح الى الخلافة ويرى نفسه قميناً بها وانه احق بها
من سواه ، وقد جر له هذا الطموح شقاء كثيراً أجبره على مغادرة بغداد
فشد الرحال الى همدان ، فدرس والف ، ثم مات مسموماً فيها سنة ٥٠٧ هـ
وكان الايوردي قديراً على القريض . ومن شعره الذي شاع على
الافواه قوله :

تنكر لي دهري ولم يدرك أنني أعز وأحداث الزمان ثمون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبات أريه الصبر كيف يكون

صدر

الرئيس ابو منصور علي بن حسن الكاتب الشاعر المعروف بصردر
توفي سنة ٥٤٦٥ هـ ، وكان شاعراً جيد السبك حسن المعنى ، وفي شعره
طلاوة وجمال ، ومن شعره في جارية سوداء (١)

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه ونوره الا ليحجبها
لاجلها الازمان اوقاتها وورخات بلبها

(١) ابن خلكان ٢٥٩ ج ١ ،

الطغرائى

ابو اسماعيل الحسين بن على المنشى المعروف بالطغرائى نسبة الى مهنته فى اوائل حياته ، والطغرى ، او الطرة ، هى نعوت السلطان الذى صدر الكتاب عنه ، وتكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ . وكان بارعاً فى الانشاء حتى سمي فخر الكتاب ، ونعت بالاستاذ ، ولقب بالمنشى ، استوزره السلطان مسعود السلجوقى فى الموصل وله ديوان شعر فى مدح السلطان سعيد بن ملكشاه ونظام الملك الوزير واشتهر الطغرائى بقصيدته المشهورة :

اصالة الراى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
وذكر ان له عدة مؤلفات فى الكيمياء القديمة . وتوفى سنة ٥١٣ هـ .

الباخرزى

ابو الحسن على بن الحسن من باخرزبين نيشابور وهراة اشتغل فى شبابه فى الفقه الشافعى ، ثم اشتغل بالكتابة ، ثم اختلف الى ديوان الرسائل وتقلب فى المناصب ، وسافر واغترب ، ثم هوى الشعر وغلب ادبه على فقهه ، فنظم الشعر ، وهو ليس من طبقة الفحول المبرزين وأثر التكلف ظاهر على شعره ، وله كتاب فى تراجم شعراء عصره سماه دمية القصر جعله ذيلاً لقيمة الدهر للثعالبي وقد اهل فيه تاريخ المواليذ والوفيات . والاحوال وعنى برصف الالفاظ (١) .

(١) وقد طبع هذا الكتاب حديثاً فى حلب بعناية الاستاذ الطباخ

مصدره من شعراء الخراس

مسعود بن سليمان

أصله من همدان ، ومنشؤه في جرجان ، ظهر في زمان السلطان
ابراهيم الغزنوي واتهم بجريمة الموأمة عليه فأوقفه وحبسه في قصر منيع
يسمى (حصارناي) وبقي سجيناً في هذا القصر مدة (١٩) سنة ، وقد
حاول خلال هذه المدة ان ينال الشفاعة والعفو من السلطان فلم ينجح
ونظم الشاعر مدة بقاءه في السجن اشعاراً محزنة سماها « حبسيات » فن
شعره في السجن (١) توفي سنة ٥٤٩ هـ

نالم زدل جوناي من اندر حصارناي

بستي كرفت همت من زين باندي جاي

آن من قلمي كالناي في (حصارناي) ، قد انحطت همتي في هذا

المحل المرتفع ا

آرد هوای نای مرا ناله های زار

جز ناله های زار چه آرد هوای نای

تسبب نغمات النای لی اینتا شجیاً غیر الانین المشجی ماذا تولد

نغمات النای ؟

عثمان مختاری

هو عثمان بن محمد الغزنوي المعروف بالمختاری توفي سنة ٤٥٤ هـ

(١) سر امدان سخن (ص ٢٥١)

وله ديوان شعر وقد مدح ملوكا اربعة هم ارسلان بن مسعود ، وسلطان
غازي ثمين الدولة بهرامشاه ، ومعاذ الدين ارسلان شاه ، وارسلان خان
محمد بن سليمان بن داود (١)

مجدد السنائي

هو ابو المجد مجد بن آدم السنائي الغزنوي العارف الشاعر المشهور
توفي سنة ٥٥٤هـ (٢)

رشدي سمرقندي

ابو محمد عبدالله او عبد السيد رشدي السمرقندي الشاعر كانت له
مناظرات ادبية وشعرية مع الشاعر مسعود سعد سليمان المتقدم ذكره (٣)

الهمصي الدهستاني

ابو الحسن محمد بن اسماعيل اللامعي الجرجاني الدهستاني من شعراء
السلطان ملكشاه و وزيره نظام الملك (٤)

برهاني

هو امير الشعراء عبد الملك النيشابوري توفي سنة ٤٦٥هـ في قزوين
في اوائل سلطنة ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي (٥)

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) حواشي جوارم مقاله ص ١٥٠-١٥٥

زعماء الحركة الفكرية في عصره

الغزالي

هو ابو حامد محمد الغزالي ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي في سنة ٥٠٥ هـ تلقى العلوم في طوس لي العلامة احمد الراذكاني ثم اختلف الى دروس امام الحرمين ابي المعالي الجويني في نيسابور وكان الغزالي نابغة عصره وله آراء في الدين ونظريات في الفلسفة والاخلاق وقد نال في حياته شهرة عظيمة وصيتاً كبيراً وكان في ابتداء امره سوفسطائياً مرتاباً يميل الى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين في سنة ٤٨٤ هـ استاذاً في المدرسة النظامية البغدادية فاجبه اهل بغداد وارتفعت عندهم منزلته وقد قضى فيها اربع سنوات مدرساً ثم حصل له تطور فجائي في عقائده فعاد زاهداً ناسكاً مؤمناً بالله وبقدسية اندياته وخلود النفس بعد ان كان كثير الارتياب فترك بغداد مولياً ووجهه شطر بيت الله ثم زار الشام ولقى فيها الوعظ والدروس ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة واخيراً مال بكليته الى التصوف وقراء كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة واشهر عليهم حرباً عواناً في كتابه تهافت الفلاسفة (١) وانف التأليف النفيسة الجليلة التي دلت على قوة محامته وبعد نظره وصفاء ذهنه واشهرها احياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والمستصفي في اصول الفقه ومحك النظر

(١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصراً للفلسفة

ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير اهله والمقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنحول والمنخل في علم الجدل .

ثم عاد الغزالي الى نيسابور وعلم في مدارسها وفي اواخر ايامه عاد الى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الى ان انتقل الى ربه .

وكانت مكاتبه العلمية جليلة في الاقطار الاسلامية وكان آية في الذكاء حافظاً للعلوم حتى لقبه الناس بحجة الاسلام ، والغزالي ناصر الخيام وصادف في بغداد وجري بين الاثني حوار على حول القراء وتعيين جزء من احزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء

الشهرستاني

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهرستاني الشهير وكنيته ابو الفتح واسمه محمد بن ابي القاسم عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني وكان اماماً مبرزاً فقهياً عالماً بالاديان ضليعاً من اراء اصحاب المقالات تفقه على احمد الخوافي وعلى ابي نصر القشيري وبرع في الفقه وقرأ الكلام على ابي القاسم الانصاري وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام واشتهر بتأليفه كتاب الملل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحص الاقسام لمذاهب الانام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠ هـ واقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث

من على بن احمد المديني بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ ابو سعد
عبد الكريم السمعاني وذكره في كتاب الذيل وسأله ابن السمعان عن
مولده فقال في سنة ٥٤٧٩ هـ وتوفي بشهرستان سنة ٥٥٤٨ هـ وما ينسب اليه :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن او قارعاً سن نادم

ولا اشك في ان الشهرستاني كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام
صلة به لاتفاق تلقيهما العلوم في مدينة واحدة وتقارب اعمارهما وقد
طعن الناس في الشهرستاني وأنهموه بالزندقة والمروق لاشتغاله بأراء
الفلاسفة .

الشيخ ابراهيم

كان امام وقته في بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان في
عنقوان شبابه قد تفقه على جماعة من الاعيان وصحب القاضي ابا الطيب
الطبري وقد الف كتاباً مفيدة منها المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه
واللع وشرحها في اصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل
ومن شعره .

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بذيول حر فان الحر في الدنيا قليل

توفي سنة ٥٤٧٦ هـ وجلس اصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضى
العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك ابا سعد المتولى مكانه ولما بلغ الخبر

نظام الملك كتب بانكار ذلك وقال كان من الواجب ان تغلق المدرسة
سنة لاجله وزرى على من تولى موضعه وامر ان يدرس الشيخ ابو
نصر عبد السيد بن الصباغ في مكانه .

امام الحرمين

هو ابو المعالي عبد الملك الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين
وكان اوحد اهل زمانه في العلوم . تعلم في مدرسة البيهقي ثم سافر الى بغداد
وخرج الى الحجاز وجاور بمكة اربع سنين ثم درس وافتي في المدينة
فلهذا قيل له امام الحرمين وفي اوائل سلطنة ألب ارسلان السلجوقي عاد
الى نيسابور وتولى التعليم والخطابة في المدرسة النظامية التي بناها نظام
الملك في نيسابور وكان الشيخ ابو اسحق الشيرازي يقول له يامفيد اهل
المشرق والمغرب انت اليوم امام الأئمة وقد ترك مؤلفات هي ثروة
عظيمة قد احصاها ابن خلدكان (ج ١ ص ٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩ هـ
ولما شاع خبر وفاته اغلقت الاسواق وكسر منبره في الجامع وقعد
الناس لعزائه واكثروا فيه المراثي وكانت تلامذته يومئذ قريباً من اربعمائة
واحد فكسروا اقلامهم ومحارمهم واقاموا على ذلك عاماً كاملاً وامام
الحرمين هو احد اساتذة عمر الحثيم .

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا في حياة الخيام وادبه في تاريخ مولده ولم نعثر في كتب التراجم ولا في المؤلفات التي تعرضت له عن تاريخ ميلاده ويزعم انه ولد في اواسط القرن الخامس للهجرة وقد استدل على ذلك بما ذكره من الخلاف في تاريخ وفاته ، فازرجح القول بانه توفي سنة ٧٠٥ هـ على ما ذكره صاحب كتاب مجمع الفصحاء (١) وقلنا ان الخيام عاش اثنتين وسبعين سنة كما يقول هو في احدي ربايعياته (٢) فيكون ميلاده في سنة ٥٤٥ هـ وذلك بعد اخراج ٧٢ سنة من ٥١٧ سنة .

(١) رضا قولي خان هدايت

(٢) وهذه هي الرباعية :

هرکز دل من ز علم محروم نشد

کم ماند ز اسرار که مفهوم نشد

هفتاد و دو سال عمر کردم شب و روز

معلوم نشد که هیچ معلوم نشد

ما حرم قلبي قط من العلم ، لم تبق من الاسرار التي فهمتها الا قليلا عشت

ثنيين وسبعين سنة ليلها ونهارها فعلمت اخيراً بانني لم اعلم شيئاً ابداً .

وكما اختلف في تاريخ ميلاده فقد اختلف ايضاً في تاريخ وفاته
فاذا رجعنا الى « جهار مقالة » وهي اقدم واصح وثيقة لان مدونها
تلميذ الخيام وهو احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي نراه
يقول انه قد زار قبره في سنة ٥٣٠ هـ وقد قيل له ان استاذة قد توفى منذ
اربع سنوات فعلى هذا يجب ان يكون قد توفى سنة ٥٢٦ هجرية

اسم ولقب وكنية

هو ابو الفتح غياث الدين عمر بن ابراهيم الخيام وقد سماه شمس الدين
سامي بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشي المقالات الاربع بعمر
ابن ابراهيم كما سماه صاحب تاريخ لزيدة سنة ٧٣٠ وصاحب كشف
الظنون فيكون ما ذكره شمس الدين سامي خطأ في ذكر اسم ابيه .
قال واضع حواشي المقالات الاربع وتسميه العرب بالخيامي
والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشى من تباين اللغتين ، وكنوه ابا الفتح
عملاً بالسنة والا فان الخيام حضور لم يتزوج على ما ذكره شمس الدين
سامي وعلى ما اعتقد وظمة الخيام تدل على انها لقب له ولعائلته على انه
قد فسر هذا اللقب في رباعيات له قال : —

خيام تفت بخيمة ما ند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقاست

فراش ازل زهر ديگر منزل
نهخيمه ييفكند چو سلطان برخواست

ياخيام ان جسدك بمائل الخيمة حقاً والروح التي منزلها دارالبقاء تشبه
السلطان فاذا ارتحل السلطان الا تقوض الخيمة .

خيام كه خيمه هاي حكمت ميد وخت
در كوره غم فتاد و ناكاه بسوخت
مقراض اجل طاب عمرش يبريد
دلال امل برا يكانش بفروخت

وقع خيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في نور الفهم واحترق وقد
قطع مقراض الاجل طناب عمره وباعه دلال الامل رخيصاً .

نبيه وعائنه

العناية بالانساب والاحساب من خصائل العرب اما الفرس فانها لم
تتمن الا بحفظ انساب ملوكها فلذا لم نعتز على نسب الخيام ولم نعلم من اي
الطبقات كانت عائنته غير ان سيرته تدلنا على انه كان من عائلة فقيرة
ليس لها ثروة كافية في ذلك الزمن العسير الذي كثرت فيه الحروب وقد

اعترف الخيام مرة بحاجة الى المال في حديثه مع نظام الملك ويا ليتنا قد
عثرنا على نسبه وعرفناه ابويه معرفة تامة لان ذلك يسهل لنا الوصول
الى معرفة السر في تكييف خلقه وسجيته اذ لا ينكر القانون الوراثة من
الاثار والفعل .

ولمذ

المشهور الشائع انه ولد في نيسابور وفيها . تلقى علومه غير ان
صاحب تاريخ الالفى لمؤلفه احمد بن نصر الله تتوى (١) يزعم بان
البعض يقول انه ولد في قرية شمشاد ، التابعة لمدينة بلخ . و بعضهم
يقول انه ولد في قرية (بسنك) من توابع استراباد غير ان الشهرزورى
والقزوينى وخواند مير يؤيدون بانه ولد في نيسابور وهذا هو
الصحيح .

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون في ايام عثمان رضى الله عنه
والامير عبدالله بن كرز في سنة ٣١ صلحاً وبني بها جامعاً وفي رواية
اخرى انها فتحت في ايام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس وانما
انتقضت في ايام عثمان فارسل ابن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية وقصد
وصفها صاحب معجم البلدان (٢) بانها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة

(١) عمر الخيام لحسين داتش ص (١٣)

(٢) ياقوت الحموى

معدن الفضلاء ومعين العلماء وقال لم ارفيا تطوفت من البلاد مدينة
كانت مثلها واكثر شرب اهل نيسابور من قنئ تجرى تحت الارض ينزل
اليها في سراديب هياة لذلك فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق
الحلاوة ، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس في
الدنيا مثله تكون الواحدة منه مناً والثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة
ارطال بالعراق وهى بيضاء صادقة البياضة كانها الطلم
وكانت نيسابور حافلة باهل العلم والادب وقد خرج منها عدد غير
يسير من ائمة العلم منهم الحافظ الامام ابو على الحسين بن على النيسابورى
والامام موفق النيسابورى استاذ عمر الخيام
والغريب ان الشعراء قد اكثروا من ذم نيسابور كابى الحسن
الاسترابادى الذى يقول .

لا قدس الله نيسابور من بلد سوق النفاق بمخناها على ساق
يموت فيها الفتى جوعاً وبرهم والفضل ماشئت من خير وارزاق
والخير في معدن الغرثى وان برقت انواره فى المعانى غير براق

وكقول المرادى ،

لا تنزلن بنيسابور مغترباً الا وحبلك موصل بسلطان
اولا فلا ادب مجدى ولا حسب يفتى ولا حرمة ترعى لانسان

ومن شكى ليله فيها معن بن زائدة الشيباني .

تمطى بنيسابور ليلي وربما
ليالى اذ كل الاحبة حاضر
فاصبحت اما من احب فنازح
وفي نيسابور تلقى عمر الخيام ورفيقه نظام الملك وحسن الصباح
العلوم على الاستاذ الامام موق النيسابورى الشهير وفيها عاش
ومات .

اسفاره

ليس من المستطاع انكار ماللا سفار والسياحات من الاثر في النفس وتطورها وتكوين خلق الانسان وتكييفه . الحق ان التنقل من قطر الى قطر ومعاشره الناس على اختلاف مللهم ونحلهم واهوائهم يزيد في الانسان حثكة وتجربة ويقوى فيه العزم ويعوده نجشم المصاعب . وعند الفرس ان العاقل المجرب هو الذي ساح في الدنيا . فقد قالوا : خرد مند جهانديده است ، (١) اي العاقل المحنك من رأى الدنيا يعنون سافرو ساج . وقد قام عمر الخيام برحلتين : الاولى في فارس ، والثانية الى بلاد العرب وهي التي ادى فيها فريضة الحج ، ومكث عند اياه في بغداد مدة من الزمن .

اما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تعد السفر الى بلخ وبخارى ، وفي بلخ زاره تلميذه النظامى العروضى السمرقندى في سنة ٥٠٦ هـ في صرح دامير بوسعدجره ،

وذكر الشهرزورى ، ان الخاقان شمس الملوك ببخارى كان يعظمه ويجلس الامام معه على سريره .

أما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطى فقال :

« ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكثونه خشى على دمه

(١) ولهم مثل اخر يناقضه دجهم انديده بسيار كويد دروغ ، اي ان الذي رأى

الدنيا - اي ساح - يكثر من القول الكذب

وامسك من لسان عنائه وقلبه وحب متاقاة لاتقية ، فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام لم يكن راغباً في الحج وانما شد الرحال الى البيت مكرهاً وذلك تسكيناً للخواطر والنفوس التي حنقت وثارَت عليه .

ثم قال ، ولما حصل بيغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم (الكتاب ص ١٤)
، ولم يذكر لنا القفطى المدة التي اقامها بيغداد ، ولا شك انه قد استفاد من بقاته في بغداد فائدة عظيمة اذ كانت مقر الاسرة المالكة من بنى العباس ولعبة للعلم يقصدها الشعراء والحكام والرواة وكانت آهلة بالمدارس حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية كثيرة خزائن الكتب ، وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل في الحكمة والفقہ والكلام والمعلوم الشائعة . وبالجملة فقد كانت الحياة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة .

واجزم بان عمر الخيام قد ارتشف من هذا المنهل العذب ما لم يكن قادراً على ارتشافه في بلاده . وقد اشار الى بغداد في رباعياته غير مرة فمن قوله :

جون ميگذرد عمر جه شیرین و جه تلخ
بمانه جو برشود جه بغداد جه باخ
می نوش که بعد از من و توماه بسی
از سناخ به غره آید از غره بسناخ

مادام العمر ينقضى فسيان عندي حلوه ومره، واذا امتلأت الكأس
اي (مت) فسيان عندي أمت في بغداد ام في بلخ . احس يا صاح كئوس
الحيا ! فان القمر سيتنقل من بعدي وبعذك من السلخ الى الغرة ومن
الغرة الى السلخ كثيراً .

شهرته

ان سيرة الخيام في حياته وما نقله المؤرخون عنه يدل على انه كان متمتماً
بشهرة واسعة في عصره وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ما كان عليه من
علم وادب وحكمة ، وقد لقب في حياته بألقاب فخمة جليلة ، فكان تلميذه
العروضي السمرقندي يسميه حجة الحق ، والبيهقي يسميه الامام، وبالغ
الامام القاضي ابونصر محمد بن عبدالرحيم الذسوى في الثناء عليه فسماه
« سيد الحكماء »، ولما سأله عن حكمة الله تعالى في خلق العالم وتكليف الناس
بالعبادات صدر الرسالة بايات في مدح الخيام ، وهي :

ان كنت ترعين ياريح اله با ذمي فاقري السلام على العلامة الخيبي
بوسى لديه تراب الارض خاضعة خضوع من يجتدي جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذي تسقى سحائبه ما الحياة رفاة الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها تغنى براهينه عن ان يقال لم (١)

(١) راجع جامع البدائع ص (١٦٦) وهي مجموعة رسائل طبعت
بمطبعة السعادة في مصر بعناية محي الدين صبري الكردي

والنسوي هذا تلميذ ابن سينا ، وكان من فضلاء عصره وان اهتمامه بالخيام
واطنا به بالمديح عليه الى هذا الحد دليل على مكانه الخيام وشهرته في عصره .
ويظهر ان الخيام لقب في عصره « بالفيلسوف » نفهم ذلك من رباعية
له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة ولا ادري أتواضعاً كان ذلك منهم أم
خشية

دشمن بغلط گفت كه من فلسفيم
ايزد دانده آنجه او گفتم نيم
ليكن جو در ابن غم آشيان آمده ام
آخر كم از آنكه من بدانم كه كيم؟

لخطأ العدو بقوله اني فلسفي وقد علم الله اني لست كما قال ولكن
اذ وجدت نفسي في دار الغم ، الدنيا ، فلا اقل ان اعرف من انا !

مزاج

ان الذي ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام انه
كان حاد الطبع عصبى المزاج وان رباعيته المشحونة بشكوكه واوهامه وآلامه
وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله في حل المشاكل العلمية
والفلسفية وشذوذ اتجاهاته واعزاله الناس وحب الانفراد تدلنا على ان
عمر الخيام لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه صفة
الغظة او الشراسة والغلظة والشراسة وحدة المزاج صفات تلازم الحكام
والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شديد التشاؤم — كما

سنبهرن على ذلك . ولهذا السبب ولما اشكل ايضاً على الناس ان يطلعوا على سربرته وصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلاً وتوهماً .

مواهب

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوى الذاكرة ، وتدل ربايعاته ومؤلفاته واطلاعه الواسع في مختلف العلوم والفنون على عقل راجح وقرينة نادرة وعبقريّة فذة حتى رووا الاعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته . فقد روى لنا الشهرزوري انه تأمل كتاباً باصبيان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملأه فقوليل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت ، (١)

والامر الذي لا شك فيه ان الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة .

اتهامه بالزندقة

كان الخيام يعلم الفلسفة في نيسابور وبالفلسفة اشهر وذاع صيته وبها فاق اقرانه وبها بز لداته واترابه من معاصريه . وقد اجمع الرواة على انه

(١) ومثل هذا روى عن ابي العلاء الممرى فقد زعموا انه حفظ مناجاة فارسية سمع لفظها ولم يفهم معناها ، وانه حفظ حساباً طويلاً كان بين تاجرين فلما فقد احدهما وثيقته املأها عليه ابو العلاء بعد زمن طويل . وزعموا ان رجلاً من اهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع اوله فعرضه على طائفة كثيرة من اهل العلم فكلمهم لم ينفعه ولم يدلّه على اسم الكتاب ابداً عرضه على =

كان قدأ منقطع النظير في اجزاء الحكمة في الرياضيات والمعقولات
ولما شاعت آراؤه في الفلسفة وذاعت نظرياته في الحكمة اصطدم الناس
بهذه الحقائق الناصعة ورأوا شيئاً لم يألفوه من قبل وسموه بالزندقة
وطعنوه في عقيدته ووثنوا فيه الظنون واخذوا يتقولون عليه وينقدونه .
وقد قال فيه الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازي سنة ٦٢٠ هـ في كتابه
مرصاد العباد ان عمر الخيام قد تاه في بيداء الضلال بقوله الرباعية المذكورة في
(ص ١١ من هذا الكتاب) وزعم المؤرخ العربي الوزير القفطى ان قد
قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره في مكنونه فخشي على دمه وامسك
من عنان لسانه وقلبه رجع متافاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير
نقية .. (راجع ص ١٤ من الكتاب) وقد ادرك الخيام تقولات العميان
من الناس فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

كزمن زحى مغانه مسئم ، مسئم ؛

كر كافر وكبير وبتپرستم هسئم

هر طايفه بمن كانى دارند :

من زان خودم ، جنائك هسئم ، هسئم

انا ان كنت ثملا بخمرة الجرس فانا ذاك وان كنت كافراً او مجوسياً
او وثنياً فانا ذاك فلكل زمرة من الناس ظن في ، اما انا فلك نفسى
اكون كما أريد ا

= ابى العلاء أنباء باسمه واسم صاحبه واملى عليه ما ضاع منه (راجع ص ٢٢٢
من كتاب ذكرى ابى العلاء للدكتور طه حسين)

ادبه وعلمه

للاستاذ اثر في نفس التلميذ من وجهة التثمين والتفكير، والتلميذ على الغالب يقلد استاذه و يأخذ طريقة اتجاهه وميله فينشأ على شاكلة مقتنياً اثره حتى اذا قوى ادراكه ونضج عقله ونال شيئاً من الاستقلال في الرأي ظهر اختياره وبانت رغائبه وانقاد الى الميل الطبيعي الذي يتحسس به ويشعر . لذلك لا أجد بدأ .. وانا ابحث في ادب الخيام وعلمه - من تعريف شخصية اساتيده الذين تتلمذ لهم في عنقوان شبابه ليظهر الاثر الذي تركوه في نفسه وأثر المصدر الذي أخذ عنه .

أخذ الخيام العلوم عن الامام موفق النيسابوري كما ذكر ذلك نظام الملك في وصاياه ، وقال شمس الدين سامي مؤلف قاموس الاعلام: « اخذ الخيام علومه عن استاذ الحكيم السنائي (كذا) شيخ الاسلام ناصر الدين محمد بن منصور، وهناك رأى في انه تتلمذ لابي علي الحسين ابن عبد الله « ابن سينا » البخاري لان الخيام قال (١) في بحثه عن تفاوت الموجودات في رسالته الكون والتكليف التي الفها سنة ٤٧٣ هـ واجاب فيها عن سؤال القاضي الامام ابى نصر محمد بن عبد الرحيم النسوي تلميذ ابن سينا عن « حكمة الخالق في خلق العالم ولا سيما الانسان وتكليفه العبادات :

« فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس حتى لا يكاد يوجد

(١) جامع البدائع ص ١٧٠-١٧١

عاقل الا ويعتريه في هذا الباب بحير ولعلى ومعلنى افضل المتأخرين
الشيخ الرئيس ابا على الحسين بن على بن عبد الله سيدنا البخارى
اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها وانهى بنا البحث الى ما قنعت به
نفوسنا . . .

ان الذى يجعلنى اردد في صحة هذه الرواية هو عدم وجود ادلة قطعية
ثبتت صحة هذه الرسالة ثم ان ما احتوت عليه الرسالة من الحجج والاراء
في مذهب الكون وتبرير التكليف يناقض ما جاء في رباياته كل المناقضة
لقد ذكر الشهرزورى في بحثه عن الخيام وتعاوده مؤلفاته بان له رسالة
في الكون والتكليف بيد انه ايس في ايدينا دليل يثبت ان الرسالة التي
ذكرها الشهرزورى هي الرسالة التي نشرها الفاضل محى الدين الكردى
في مصر .

ثم اني بحثت وجاهدت كثيراً للعثور على ترجمة الاستاذين الاخرين
شيخ الاسلام منصور والموفق النيسابورى فلم اظفر بطائل .
فمن هنا خسرتنا اعظم مصدر نستطيع ان ندرس به عقلية الخيام ونقيس
به مبلغ علمه .

رباعيات

جمع عمر الخيام فضائل جمة ومزايا كثيرة . فقد كان اماماً في العلوم
الرياضية والفلكية تشهد له بذلك تأليفه القيمة في علم الجبر و بنائه الارصاد
وترتيبه الزيج ، وكان طيباً حاذقاً ومحققاً بارعاً ومتفكراً كبيراً ، والى
كل ذلك كانت منزلة سامية في الشعر وقد سلك فيه مسلكاً لم يسلكه غيره .

وإذا بحثنا في ادب الخيام فلا يعيننا ان نبحت في مؤلفاته وعلومه
وانما تقتصر على رباعياته الذائعة الصيت التي فتنت الالباب فكان له
بها انصار يجعلونه من اكابر الشعراء ويسرفون في تبجيله .

نظم الخيام رباعياته في ازمنة وامكنة مختلفة وكانت نفسيته تتمثل
في كل رباعية من رباعياته تمثلاً خاصاً بما كان يحيط به من المؤثرات
فيقول في كل حادثة كلمة ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة
لها بما قبلها وما بعدها وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين وذلك عند
جولته في مضمار الشك واليقين فتارة نراه مؤمناً مطمئناً وتارة مرتاباً
مضطرباً وهو أشبه روحاً بابي العلاء في لزومياته وهذا يدل على كونه
شاعراً حقيقياً نخلج في قلبه افكار شتى ، ثم اننا نرى بعضها سخيلاً
سمحاً لا يستحق العناية وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل
والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخرافية
وادبية وفلسفية .

وعروض الرباعيات في الغالب على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله ،
وهو مركب من اربعة مصاريع الاول والثاني والرابع مقفى والثالث
مطلق وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات
معنى واحد .

والذين نظموا الرباعيات من ادباء الفرس كثيرون ولكن الخيام
على ما نعتد برز على الجميع كما سألنا ذلك وبحسبنا ان نقول انها تكاد
تكون المصدر الوحيد لارائه الفلسفية ومذهبه واخلاقه وبمجموعها يعبر

عن نفسيته احسن تعبير ويتضمن كل ما كان يخلج في صدره من شكوك
رهواجس ووسارس والام ونزعات ونزغات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثين وتضاربت اراؤهم في عدد الرباعيات كما اختلفوا
في عقيدته ورأيه في الحياة . فيقول بعضهم : ليس كل ما في الرباعيات
هوله قد بلغ ما في النسخ المطبوعة في الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعية
وعددها الصحيح يتراوح ما بين ١٢٠ - ١٥٠ واما الباقي فهو لشعراء
اخرين نسبها اليه المتأخرون او دسوها في ديوانه . وقد وقعت يدي
بضع نسخ منها مطبوع بعضها في الغرب وبعضها في الشرق وكل ما فيها
لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية ونسخ اخرى فيها ١٢٠ او ١٥٠ او ٥٠ او اقل .
فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه .

وانا لا انكر ان الدر على العلماء والمؤلفين كان فاشياً في عصر الخيام
وما قبله وما بعده وكان للاتحال شأنه في كل عصر من العصور المتقدمة
ولا تنكر ان للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضهم له في حياته
وبعد وفاته ، ولكن قول ابن القفطي ، ولما قدح اهل زمانه في دينه
واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه
وقلبه حج متافاة لا تقية وابدى اسراراً من السرائر غير نقية .. الخ ،
دليل على انه لم يبق لاعدائه حاجة الى الدس عليه فانه جاهر بما يريد
ان يقوله فلم يلاق من الجمهور صدراً رحيباً لقبول اقواله او صرفها عن
ظاهرها .

• • •

نظم الخيام في حياته رباعيات كثيرة ، ونعتقد انه من الصعب جداً
تعيين ما له وما ليس له منها لانه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ولا هو
اول مبتكر لهذا الاسلوب، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن
بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى وقد وجدت بعض الرباعيات
المعزوة له في دواوين شعراء الفرس كابي سعيد ابي الخير وفضل الكاشاني
والانورى وابن سينا وحافظ الشيرازى وجلال الدين والحقاني وسعدى
الشيرازى وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

•••

تقول المسس كادل، التي ساخت عدة سنوات في تحقيق رباعيات
الخيام واظهرت ماله وما ليس له : ان له ١٢٠٠ رباعية وان اقدم نسخة
للرباعيات وهى المحفوظة في مكتبة (بودلين) في اكسفورد معلنة برقم
٥٢٥ وهى نسخة صحيحة كتبت سنة ٥٨٦٥ هـ بعد وفاته بثلاثة قرون
ونصف قرن فهى اقدم نسخة بين ايدينا وهى تشتمل على ١٥٨ رباعية .
ولو قبلنا كل الرباعيات التى تنسب الى الخيام بغير تمحيص لتراوح
عددها بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ رباعية والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة
امر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس انفسهم .

وفى هذه الحالة ليس لدينا من وسيلة نفهم بها ما للخيام غير مذهب
الخيام الفيلسفى الخاص به . وغاية ما نقوله فى هذا الصدد ان هذه
الرباعيات كلها للخيام رديتها وجيدها فان الشاعر قد يحسن وقد يسئ
والجواد يعدو ويكبو ولا غضاضة فى ذلك فكثير من شعر المتفنى

وإني تمام والبحتري، المعري وغيرهم ما هو غير جدير بالتدوين، والانشاد وعلى كل فان مذهبي في معرفة رباعياته هو بمقارنتها بمذهبه الفلسفي الخاص. وقد اعتمدت في ترجمة الرباعيات نسختين الأولى نسخة العالم المحقق الألماني فرديرخ روزن، والثانية نسخة الأديب الفارسي الشهير حسين دانش.

والآن نعود فنقول كلمتنا في أدبه : —

كانت اللغة العربية في عصر الخيام لغة العلم والدين بل كانت اللغة الرسمية وكان الفرس يدرسون العلوم والآداب والفنون باللغتين العربية والفارسية معاً ويؤلفون باللغتين كما انهم كانوا يقرضون الشعر باللغتين أيضاً وقد وجدنا للخيام وغيره من شعراء الفرس كسعدى وحافظ الشيرازي وغيرهم شعراً بالعربية مما يدل على شيوع العربية في فارس وقد عثرنا على شعر عربي لعمر الخيام يدل على تضامه من العربية وعلو كعبه فيها. ولنبحث الآن في أدبه وشعره بلغة قومه ثم نعود فنبحث في أدبه العربي .

يرى الناظر في رباعيات عمر الخيام الفارسية تناقضات كثيرة ومواضيع متباينة وآراء مختلفة فكثيراً ما وردت في رباعيات الخيام، ودنان وطاسات وخمرة وردية، وآنية عسجدية، وحانات وسقاة، ومعشوق مايع، وعود صيغ وجنة غنا، واغصان خضر، وبلابل تغرد، وحمام تسجع، ولذة وسرور، ومداعبة العين الحور، وابتسامات حلوة ونشيد بديع، وتفاؤل عظيم، ثم زفير وشهيق، ودموع ونشيج وصيحات تم عن الم، وصرخات تشف عن

حزن ، وشك والحاد ، وبيقين واعتقاد ، وكفر صميم ، وإيمان قويم ،
ويأس مظلم ، وحزن عميق ، وسباب على الكوازل الذي يجبل الطين باعتساف ،
وشكوى من الفلك الجائر ، ونفس مضطربة تجيش بالهم ؛ ثم تهكم
بالعادات ، وسخرية بالاديان ، وانكار للبهت وجود للحشر ، وهزق
برجال الدين ، وطعن شديد ونقد ممر للاخلاق والانظمة ؛ و ثم
فكر حر ، واستقلال بالرأى ، وجرأة قوية وصراحة عجيبة ، واقدم
وتردد ، ونقض وابرار ، وبلاغة عالية وشاعرية فذة ، وذلك لامع ،
وكلام رفيع ، وقول سمج سخيف !

وخلال هذه المتناقضات يظهر ادب الخيام عريان كالطبيعة السافرة
التي كشفت عن قواعدها وهي تبدى تارة رقة كرقعة النسائم فى الربيع وتارة
غضباً كغضب الريح الهج التي يصحبها الرعد والبرق وطوراً تحسبها
كتجهم الخريف الحزين ، وجمالاً كجمال السماء فى الليلة الصاحية !

فلا نجد فى هذا الادب الغض الريان غير هواجس نفس الخيام
المنطلقة الثائرة تارة والمطهئنة الهادئة تارة اخرى وهو يمثل روحه
اصدق تمثيل ، فهو الشاعر الذى ما عرف غير الطبيعة وما فيها من شؤون ،
ونفسه وما فيها من الام وافراح وشجون ، فهو لم يتغزل الا بالطبيعة وما
انتجته الطبيعة من حسن رائح ، وهو لم يصف الا ما كانت تشعر به نفسه
الهائجة الثائرة ، وهو لم يسخر الا بما كان يعارض حريته ، وهذا هو
السر الذى جعله من الخالدين على كر السنين !

استعمل الخيام كلاماً في نظم رباعياته من النسق العالى فاختر الفاظاً
تناسب المعنى والقصد ، وساق رأيه المدغم بالحجة القوية بأربعة مصارع
بقوة ومتانة وانسجام ، وعندما يريد زفاف رباعية تلك العروس
الحسنة يزودها بشئ من الخيال والقصد والسخرية فترى الرباعية تهبط
القلب قبل الاذن فتحدث هزات عنيفة في شحوز السامع وصدقات قوية
في جوانح القارى ثم نترك اثرأ عميقا تعقبه ضحكة طويلة احيانا و احيانا
اسفاً بليغاً وهو يرسل الالم والفرح والشوم والنصيحة والحكمة منتقلا
بالقارى من رأى الى رأى صارخاً ضاحكاً مداعباً مازحاً وبهذا يظهر
مهارته اللغوية والفكرية بأجلى مظاهرها مكرراً نغمة واحدة ومنشداً
هزجاً واحداً هو « العمر باناس قصير فاغتنمها الفرصة بين العدمين ،
ولولا ضيق المجال لاسهبت الان في تحليل رباعياته ، ولكننى اورد
امثلة من رباعياته تأييداً لما أدعيه .

مي خور دن وشادبودن آيين منست
فارغ بودن زكفر ودين دين منست
كفتم بروس دهرتابين توجيست
كفتادل خرم توكابين منست

عادني ان احسو المدامة واطرب، ودينى أن اجر الكفر والدين. سألت
عروس الدهر — الحياة — ما هو صداقك؟ قالت قابلك الطروب صداق ا

كويند بمن بهشت باحور خوشست
من ميگويم كه آب انكور خوشست

این نقد بکیر ودست ازان نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن ازدور خوششت

يقولون لى الجنة طيبة بالخورى، وأنا اقول عصير الكرم هو الطيب،
خذ هذا النقد ودع ذلك الدين فسماع صوت الطبل من بعيد حسن!

این قافلهٔ عمر عجب میگزرد
در باب دمی که با طرب میگزرد
ساقی غم فردیای قیامت جه خوری؟
بیش آر بیاله که شب میگزرد

تسير قافلة العمر سیراً عجیباً فاغتم وقتاً تطرب فیہ اہا الساقی!
مالك مهموماً من القيامة فى غد؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء.

گویند که ماه روزه نزدیک رسیده
من بعد بگرد باده نتوان کردید
در آخر شعبان بخورم چندان می
کاندر رمضان مست بیفتم تا عید

يقولون قد اتى شهر رمضان وليس لاحد بعد ان يحوم حول المدام
اما انا فساشرِب منها فى آخر شعبان ما أبقى به سكران طوال شهر
رمضان حتى يوم العيد!

هذا نموذج من ادبه الفارسى ومن العسير جداً على غير العارفين
بالفارسية ان يشعروا باللذة التى يشعر العارف بها الحافظ علماً بدقائقها

ونكاتها وروعتها، وما حيلتنا والترجمة عادة تذهب الكثير من
جمال الاصل !

الخيام وشعراء الفرس

كلمت كثيراً من ادباء الفرس في كربلا و بغداد و طهران عن منزلة
الخيام الشعرية فوجدت بعضهم بعده من شعراء الطبقة الاولى ، وبعضهم
بعده من الطبقة الثانية ، وفريق يضن عليه بلقب شاعر ، والمنصفون منهم
يقولون انه من الطبقة الثانية ويقولون ان في شعراء فارس كثيرين
يقدمون عليه وشعره الجيد القليل لا يجعله من المحرزين لقصب السبق
فحافظ الشيرازي وسعدى الشيرازي والخاقاني والفردوسي ، جلال
الدين الرومي افضل منه شعراً وأكثر اجادة وابرع في تصوير المعاني
الجليلة وتمثل المقاصد العالية ، وهم اكثر غاية بالشعر وقد اختصوا به
وانقطعوا اليه مدة حياتهم وفيهم المعمرون الذين جاوزوا المئة
— سعدى الشيرازي — فالخيام يعد بينهم شاعراً وسطاً وانما كانت له
هذه النباهة الذائعة بما قاله من العدد اليسير من الرباعيات وهذه لاتضعه
في مراتب كبار الشعراء والرعييل الاول من البلغاء !

اما انا فاعده في الرعييل الاول من الشعراء واعتقد انه لا يقل
عبقرية عن حافظ وسعدى والرومي وخاقاني والناس مختلفون في اذواقهم
وقد وجدت اناساً يقدمون بن ابي ربيعة على المتنبي واناساً يفضلون
الشريف الرضي على المديري والمتنبي ولكن ذوقه ورأيه :

شعره العربي

شعره العربي نزر جداً ولم نعث له الا على ثلاث قطع ذكر واحدة منها القفطى فى كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، وذكر القطعتين الثابنتين الشهرزورى فى كتابه نزهة الارواح ورضة الافراح، ص ٣٢ رباعيات الخيام لحسين دانش، وفى بعض ابيات شعره زحاف وفى بعضها ركة وبعضه غير واضح ومع ذلك فانه كثير من فارسي رياضى فلدى فيلسوف افنى حياته فى ممارسة الفنون والعلوم والفلسفات .

وفى شعره مسحة من روح ابي العلاء وفيها نفحة من نفحاته العلوية وفيما ياتي شعره العربي :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة	يحصنها بالكد كفى وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها	فكن بازماني موعدى او مواعدى
ولى فوق هام النيرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
اليس قضى الافلاك من دورها بان	تعيد الى نحس جميع المساعدى
فيا نفس صبراً دن مقيلك انما	تخر ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة	فواعجبي من ذا القريب المبعاد
اذا كان محصول الحياة منية	فسيان حالاً كل ساع وقاعد (١)

(١) والبيت الاخير ينطبق على روح الخيام كل الانطباق وقد ارد هذا المعنى شهراً فى رباعياته

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى
اصوم عن الفحشاء جهرأ وخفيه
وكم عصبية ضلت عن الحق فاهتدت
فان صراطى المستقيم بصائر (٢)
بل الافق الاعلى اذا جاش خاطرى (١)
عفاناً واطارى بتقديس قاطرى
بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
نصبن على وادى العمى كالتقاطر

زجيت دهرأ طويلا فى التماس اخ
فكم الفت ولم آخيت غير اخ
وقلت للنفس لما عز مطلبها
يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
ولم تبدلت بالاخوان اخوانا
والله لا تألفى ما عشت انسانا (٣)

وله ابيات اخرى وجدتها فى ترجمة وديع البستاني لرباعياته ، غير انه
لم يذكر المصدر الذى نقل عنه هذه الايات وهذه هى :

سبقت العالمين الى المعالى
فلاح بحمكى نور الهدى فى ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفوها
بصائب فكرة وعلو همة
ويأبى الله الا ان يتمه

العقل يعجب فى تصرفه
فنوالها كالريح منقلب
من على الايام يتكل
ونعيمها كالظل منتقل

(١) لم اجد الخيام متفاخراً بل عرفته آية فى التواضع

(٢) وفى رواية معابر

(٣) فى هذه الايات مسحة من روح الخيام ومذهبه الشعرى

علمه

ان الذى ظهر لنا من ترجمة الخيام وسيرته انه كان متضلماً من العلوم
الشائعة فى عصره ولا سيما الرياضيات والفلك .

قال الشهرزورى ، كان تلو ابى على بن سينا فى اجزاء علوم الحكمة
وكان ابن بجدتها فى اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات ، وفى
كامل التواريخ لابن الاثير فى ذكر حوادث ٥٤٢٧ هـ . وفيها ايضاً عمل
الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم
عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب
الواسطى ، وقال فيه القفطى ، امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم
يونان وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة و به يضرب المثل
فى هذه الانواع لو رزق العصمة

وقال القزوينى فى بحثه عن نيشابور ، وينسب اليها من الحكماء عمر
الخيام كان حكيماً عارفاً بانواع الحكمة سيما النوع الرياضى وكان فى عهد
السلطان ملكشاه الساجوقى سلم اليه مالا كثيراً ليشتري به آلات الرصد
ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما نم ذلك ،

وقال الابرقوهى ، خيام — وهو عمر بن الخيام — كان ذا باع
طويل فى العلوم الخاصة وفى علم النجوم وله رسائل ذاتعة الصيت واشعار
لانظير لها وقال حمد الله المستوفى القزوينى ، عمر الخيام بن ابراهيم
كان متضلماً من اكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان
فى عصره ،

من العلوم التي اقبل على تعلمها المسلمون يومئذ علم الفلك (١) وكان
لابي جعفر المنصور الخليفة العباس رغبة شديدة فيه ، وهو الذي امر
محمد الفزاري ان ينقل الى العربية كتاب السند هند ، وكان علماء الفلك
قسماً من موظفي الدولة يرافقون الخلفاء والملوك في اسفارهم وغزواتهم
وقد ظهر في عهد المأمون العباسي محمد بن موسى الخوارزمي وبنو شاكر
الثلاثة الذين قاسوا درجة خط نصف النهار (٢) .

ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا في هذا العلم ابو المعشر الباقلي ،
وحنين بن اسحق ، وثابت بن قره الحراني ، واحمد بن كثير الفرغاني ،
وسهل بن بشر ، ومحمد بن عيسى الماهاني ، ومحمد بن جابر الحراني ونبغ في
القرن الرابع والخامس ابو الوفاء ، والبوزجاني ، والبيروني ، وفي القرن
السابع ظهر امام الفلكيين نصير الدين الطوسي ، ونبغ في عصره مؤيد
العروضي ، وابنه محمد بن المؤيد والفخر المراغي ، والخلاطى ، ونجم

(١) تاريخ علم الفلك قديم جدا يرجع الى نحو الاف من السنين وقد
اولعت به الامم القديمة واختلفت في موطنه الاول فاهل الصين يزعمون ان
لديهم ارسادا عملت قبل الطوفان ، وقد اشتغل به للكلدانيون منذ ٥٠٠ سنة
وتقدم عندهم وقد بلغ من تولعهم بالاجرام السماوية انهم اول من قسم النهار
الى ١٢ ساعة ولم يقصر المصريون واليونانيون فيه فقد طانت لليونانيين مدارس
كبيرة لتدريسه يرجع عهدها الى الملكى اليونانى تاليس ، الذى عاش في القرن
السادس للمسيح وقد انشأت في عهد الدولة البطلموسية ، مراصد عظيمة في
الاسكندرية

(٢) راجع كتاب علم الفلك وتاريخه في القرون الوسطى للسنيور لرونليو

التنين القزويني وغيرهم من الفحول .

وقد أجمع المؤرخون على أن الخيام كان بارعاً بعلم الفلك وذكروا أن ملكشاه السلاجوقي أعطى الخيام أموالاً لبناء رصد عظيم فتوفي ملكشاه ولم يتم العمل ، واتفقوا على أنه هو الذي تولى ترتيب الزيج ، لملكشاه السلاجوقي رتبته بمعونته سبعة من المنجمين منهم ميمون بن نجيب الواسطي ، وأبو المظفر الأسفزاری ، وعبدالرحمن الخازن (١)

قال أحمد رفيق في تاريخه العام المفصل :— ان عمر الخيام أصلح التقويم الفارسي واكمله على عهد السلطان ملكشاه ، السلاجوقي .

وقال حميد وهبي في كتابه (مشاهير الاسلام) :— ان هذا الإصلاح وافق اليوم الثامن من رمضان تلك السنة وقد استعملت الكبيسة التي اعتدت بها الروم ولم يلتفت إليها الفرس في ذلك الحين وهي ضم يوم واحد الى نهاية كل رابعة اربع سنين وسمى هذا الزيج

١ وفي كتب الفلك ان آلات الرصد المستعملة في ذلك العهد هي ١— اللينة ٢ . الحاقة الاعتدالية ٢— ذات الاوتار وهي اربع اسطوانات مربعة يعلم بها الميل ٣— ذات الحلق ٤— ذات السحوت والارتفاع وهي نصف حلقة قطرها سطح من اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السميت وارتفاعه ٥— ذات الشعبتين وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع ٦— ذات الجيب ٨— المشتبهة بالمناطق وهي ثلاث مساطر يعلم بها ما بين الكوكبين من البعد ٩— الاسطرلاب وله انواع ١٠— الارباع ولها اشكال ونقلها عن العالم الجليل السيد عيدن الحليم الحافاني وهو من اجلة العلماء في بغداد وله شغف بعلم الفلك واطلاع واسع به ،

بالجلالى اولمكى وحصل من هذا الحساب فائدة عظيمة لبيت المال
لجريانه على محور ثابت .

وقال عبد الرحمن شرف فى كتابه لزبدة القصص) ان التقويم او
الزيج الجلالى الذى رتبه عمر الخيام وعبد الرحمن الخازن هو اقل خطأ
من التقديم الغربورى . قال صاحب كشف الظنون فى باب (الزاى)
انه وضعه عند ما سافر الى مرو فاكرمه السلطان وامره باصلاح التقويم
مع جماعة ثمان فاصلحوه ، قال ابو الفداء : — انه يوافق ١٠٧٩ ميلادية
ونسبه الى جلال الدين ملكشاه ودعى الزيج الجلالى .

وقال المؤرخ الانكازى (كين) ان الزيج الذى رتبه الخيام يتفوق
على التقويم الجوليانى وعلى صحة النمط الغربورى .
فالظاهر ما تقدم ان الخيام كان اماماً فى علم الفلك وحجة فى الرياضيات

وقد وردت عنه حوادث يستدل بها انه تعلم الطب ومارسه وتعلم
الهندسة والعلوم الطبيعية والكيمياء والجبر ، والى فى هذه المواضع
رسائل جليلة ، ونستدل على درسه الطب ما ذكره الشهرزورى قال :
« ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد اصابه جدرى فلما
خرج سأل الوزير كيف رأيه وبأى شىء عالجته ؟ فقال عمر ، عمر الصبي
مخرف فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان ابغضه
وكان لا محبة (الكتاب ص ١٣) . وكان الخيام شغوفاً بمطالعة كتب
(ابن سينا) الفيلسوف الطبيب وقد صرح الخيام بانه تتلذذ له واذا صح انه

درس على ابن سينا فلا اشك في انه اخذ الطب عنه .
والف في الهندسة رسالة في شرح ما اشكل من مصادرات (اقليدس)
والرسالة محفوظه في هولنده في مكتبة (ليدن) ، والف في الطبيعيات
رسالة مختصرة وفي الكيمياء رسالة في الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب
والفضة في جسم مرآب منها والرسالة الان في المانية في مكتبة (غوتا)
ورسالة في الجبر والمقابلة طبع متنها العربى وترجمتها بالافرنسية المسيو
(ويك) في باريس سنة ١٨٥١

مؤلفاته

قال صاحب نزهة الارواح - وقد ذكرناه آنفاً - وله - اى لعمر
الخيام - ضنة بالتصنيف والعلم ، وله مختصر في الطبيعيات ، ورسالة
في الوجود ، ورسالة في الكون والتكليف ، وكان عالماً باللغة والفقہ
والتواريخ ، .

وقد عدد مصنفاته ووضح حواشى المقالات الاربع (ص ٢٢٠ - ٢٢١)
والاديب - حسين دانش في كتابه عمر الخيام (ص ٤٨ . ٤٩) والمستشرق
الالماني فريدرخ روزن في كتابه عمر الخيام (ص ٦١ - ٦٢)
• رسالة في الجبر والمقابلة طبعها العالم الجليل المسيو ويك في
باريس سنة ١٨٥١

• رسالة في شرح ما اشكل من مصادرات كتاب (اقليدس)
والرسالة محفوظه في هولنده في مكتبة ليدن .
• الزينج الملكشاهى ، كشف الظنون (الزاى المعجمه) .

- رسالة في الطبيعيات ، ذكرها الشهر وزي .
- رسالة في الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن مؤيد ، والنسخة محفوظة في (بريتش ميوزيوم) وقد كتب في صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام ، كذا ، الكليات الوجود .)
- رسالة في جواب ثلاث مسائل وفي كشف الحجاب عن ضرورة التضاد في العالم نشرها محي الدين صبرى مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) .
- رسالة في الكون والتكليف وقد ذكرها الشهر وزي وهي رسالة فلسفية كتبها جواباً على سؤال عبد الرحيم النسوى ونشرها محي الدين صبرى .
- رسالة في الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة في جسم مركب منهما محفوظة في مكتبة (كوتا) فى المانيا .
- رسالة فى لوازم الامكنة بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم .

فلسفته

يقول بعض الباحثين ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلاً مستهتراً ، ماجناً ، شهوانياً ، فناءً في حب ذاته وشهواته ، زائفاً عن التقاليد ، متمرداً على الاخلاق ، جاعلاً هدفه الاسمى في الحياة اجتلاب السرور والانتعاش في الملذات ، وانه لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكام ممن جاهدوا في نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة ادبهم وتراثهم قرائحهم فداءً وقرباناً للانسانية المفعمة بالاتراح المايئة بالاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس ، وان آرايه في الحياة غير مستندة الى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس ، وان افكاره الفلسفية مبنية على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعى ، وما هو الا شاعر ليس بالفيلسوف المفرد بالفضيلة .

اجل هذا هو الواقع الذى لا شك فيه والحق الذى لا مرأه فيه فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط في نشر الفضيلة ولم يُحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهدبهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته ثمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخر وحبه الناس على الاقبال عليها صورتها ريب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذى جعل بعض العلماء ان يشبهوه بـ بايكونر ولوقره جيوس ، وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون

ان غاية الحياة ان يتطلب الانسان الامور التي تولد له اللذة ،
واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بان أساس حياته هو
الاحساس ، ا

واذ كان التفتيش عن العلة يدلنا على المعلول ومعرفة السبب
تعرفنا بالسبب وجب علينا ان نبحث في السر الذي حدا بالخيام أن
يظهر بهذا المظهر الشائن وان نتطاب الدافع الذي دفعه الى ذلك .

ان للسرور سدياً وللالم علة ولا بد لمن يشذ عن العادات والتقاليد
ويعتقد اعتقاداً خاصاً لا يلائم اعتقاد الجمهور من علل واسباب اورثته
هذا الشذوذ وذلك الاعتقاد ، ولكل حادث سبب ولكل حركة عامل
فما السبب الذي جعل الخيام ان يظهر بهذا الشكل ، يدعوا الى خرق النواميس
الادبية والاخلاقية ؟ أنقص في تهذيبه ؟ أم اختلال في تفكيره ؟ أم
اضطراب في مزاجه العقلي ؟ ام لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وانما هو
امرؤ خليع سافل الطباع ذو مزاج شهواني دفعته نفسه المنهزمة الى اللذائذ
فخاض الموبقات والمنكرات والمهلكات ؟

ان الذين اصذروا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسي من هذه
الناحية لم يلتفتوا الى تحقيق اشياء اخرى في الناحية الاخرى من رباعياته
لقد اكثر الخيام الازم من الحياة وصورها ابشع صورته حتى لقد تمنى
العدم وود لو انه لم يكن مخلوقاً . قال :

كر آمدنم بمن بدى نامدى

ورنيز شدن بمن بدى كي شدمي

به زآن نبیدی که اندر این دیر خراب
نه آمدی ، نه شدی نه بدی

لو کان مجیبی باختیاری لما جمت ولو كانت خالقنی بیدی لما رغبت
ان اخلق الافضل اننی لم اکن فی هذا العالم ولم اجبئ الیه ولم ابق فیہ .
وقال :

جون حاصل آدمی در این جای دو در
جز درد دل و دادن جان نیست دگر
خرم دل آنکه یک نفس زنده بود
و آسوه کسیکه خود نژاد از مادر

لم یکن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابین غیر الم القلب
وز هوق الروح . فالمرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذی لم یولد
من امه !

وقال :

جون حاصل آدمی در این شورستان
جز خوردن غصه نیست یا کشدن جان
خرم دل آنکه از جهان بیرون شد
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان

لما لم یکن محصول الانسان فی هذه الحیاة ذات الفتن الا الالم و عذاب
النفس فطوبی لمن خرج منها اولم یحیی الیها !

ليس عجيباً ان يذم الخيام الحياة وان يفيض بالنقمة عليها فيسميها دار
الفتن والعذاب ويتمنى العدم في هذا الدير الخرب ، وان يقول هنيئاً لمن
عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم يولد من ١٤٠١
ليس غريباً ان يصب الخيام نقمته على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة
الناس الى الممذات والمسرات واغتنام الفرص في الحياة والاخذ باللهو
والمرح من غير اهتمام بالتقاليد والتفات الى ما هو حرام او حلال اخلاقاً
او عرفاً فما سبب هذا التناقض ؟ ما سبب هذه الابقسامة الحلوة وهذا
الوجه العبوس ؟ ما علة هذا الادعاء وما سبب هذا الزعم ؟

ما كان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية ، وما كان
مختل التفكير فان علمه وادبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقى وما كان
مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزاقته وانه
كان اية في العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع اذ لا يكون
الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء وقد عاش حصوراً عزباً لم
يتزوج ولم يذكر احد بانه كان مدمناً للخمر سكيراً مع كثرة تغزله بها
وانما الخيام قد دعى الناس الى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعاً
بعقيدة فلسفية هي وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفى فان للرجل
تفكيراً خاصاً ومساكماً معلوماً في الحياة فلم يكن الخيام عدو الناس ولا
صديقهم ولم يطلب لهم لاخيراً ولا شراً وقد كان مشغولاً بنفسه وروحه
الملتهبة المضطربة وقد جاشت في صدره نفثات هي حقائق ناصعة ومقاصد

عالية ومعاني جليلة البسئها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميلة ابرزها
بصدق واخلاص ونية حسنة.

اذافلم يكن عمر الخيام شاعراً مستهترا، ماجناً، شهوانياً، مادياً، كما دعى ذلك
فرناندهانرى وفتيزجرالد، وغيرهما وانما كان حكيماً مفكراً له عقيدة
خاصة تعبر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفى وان لوجود هذه العقيدة
الفلسفية وكيفية تكوينها ونضوجها اسباباً سابقتها فى بحثى عن عقيدته
الفلسفية . ومع ذلك فاني اثبت هنا الان ثلاث ربايعات جواباً على الذين
يوصمونه بالاستهتار والسفه ليتبينوا السبب الذى من اجله يدعو الخيام
الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة : قال :

روزى كه دو مهلتست ميخورمى ناب

تاين عمر دوروزه برنكردد دريابا

داني كه جهان رويخه راني دارد

تو نيز شب وروزهمى باش خرابا

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة

عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى
الخراب فكز انت ايضا خراباً ليلا ونهاراً . وقال :

عمرت تاكي بخود پرستى كزرد؟

يادري نيستى وهستى كزرد؟

مي نوش كه عمرى كه اجل درپي اوست

آن به كه بخواب يابمستى كزرد

حتى يم عمرك في عبادة نفسك او في الابتكار في الوجود والعدم؛
اشرب المدامة فان العمر الذي وراه المنية بحسن ان ينقضى في النوم،
او السكر وقال :

اي انك نتيجة جوار وهفتي
در هفت وجوار دائم اندرتفتي
مي خوركه هزار بار بيشت كفم
باز آمدنت نيست جورفتي رفتي

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات الى منى انت تتألم بالتفكر
فيها اشرب الخمر فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبسة فاذا ذهبت
ذهبت اي - ذهابك ذهاباً ابدياً -

اظن الان قد بان السبب الذي من اجله كان يدعو الخيام الى الخمر
بان عريان صريحاً كالشمس وسوف احل هذا السبب الذي من ذلك
فيما بعد والان ابحث في مصادر فلسفته

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام في القرن الخامس الهجري وكتب الفلسفة اليونانية
شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس ، وافلاطون ، واقليدس ، وبطليموس ،
وجالينوس ، وفيثاغور وزه نون واييكور في الفلسفة الطبيعية والالهية
والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق
والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس والجدل محتدم حول اراء السوفسطائيين

والكباريين والمشائين، والرواقين وغيرهم من المذاهب الفلسفية هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الخيام قد وجد في عهد نضج فيه علم الكلام واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية وشاعت آراء الباطنية وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون واجتشدت المدارس بطلاب العلم وظهرت رسائل اخوان الصفا الجمعية السرية وتعددت الفرق والطوائف وتعبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة فالف ابن القفطى وابن ابى اصيبعة كتبا فى تراجمهم ووضع الشهرستانى كتاب المال والنحل واحصى فيه عدد الفرق مبينا حججهم وادلتهم العلمية وظهر ابو نصر الفارابى وابو على بن سينا واشتد النزاع بين الدين والفلسفة فوضع الامام الغزالى حجة الاسلام كتبا فى الرد على الفلاسفة وعظيم امر التصوف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بارائهم الحرة التى لا تلام ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة وكان نصيبهم السيف والنطع وصفوة القول فان حظ الخيام اوجده فى عصر زاهر عظيم من الوجهة العلمية وقد دلت مؤلفات الخيام فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية على اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقد بان الخيام قد استقى علومه وارايه الفلسفية من المصادر الاتية :

الفيلسوف البيروني

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب

الفلسفة اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على
على رغبتهم فيها وكان الجدل حامى الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين
وكان الخيام بمن شغف بها فدرسها وتولع بها وقد اخبرنا القفطى عن ذلك
بقوله « يعلم علم يونان . . . وهذا لرواية تدلنا على انطلاعه منها واتقانه
اياها . وقد اشار القفطى بان له اراء خاصة بها بقوله « رياً مرتباً بالسياسة
المدنية حسب القواعد اليونانية، وما للقواعد اليونانية الا نظرات الفلاسفة
اليونانيين واراتهم في الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غير
ذلك ولكن عدم رغبة الخيام في التاليف وضنه بالتصنيف حاله واللاسف
دون اطلعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال فان
عمر الخيام قد تآثر مزاجه بالفلسفة اليونانية خصوصاً بفلسفة (ابيكور)
ورأيه في « اللذة » كما نطقت بذلك رباعياته .

رسائل اخوان الصفا

اخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا في منتصف القرن الرابع
في البصرة على ما يروى والقوا جمعية علمية سرية ووضعوا رسائل عظيمة
الشان وهي احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة في
عصرهم وكان غرضهم من ذلك كما زعموا غرضاً نزيهاً وهو انقاذ الشريعة
من الاوهام والباطيل والضلالات اذ كانوا يرون ان الشريعة قد دنست
بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا
بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وذكروا

في اول هذه الرسائل ، ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الإسلام
تكلموا في علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة
الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها ، حرفها وغيرها ، حتى انغلاق علي الناظر
فيها فهم معانيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى اغراضهم فيها
وأوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ في إحدى وخمسين رسالة ، والحق
ان هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئها وتوغلهم بالعلوم المعروفة في
عهدهم وقد ذكر لنا القفطى حديث ابي حيان التوحيدى المتوفى نحو
سنه ٣٨٩ هـ عن اخوان الصفا وامتداحه اياهم حتى ظن — وقد يكون
ذلك — انه هو احدهم لقوله ، ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات
وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة ، وقد اضرت رسائل اخوان الصفا
بقدر ما نفعت .

ويعتقد شيخنا الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوى ان اخوان
الصفا جماعة من الباطنية المعتدلة كما يعتقد ان كلا من ابي العلاء المعرى
وجير الخيام كان باطنياً .

واجزم بان عمر الخيام قد امعن النظر في رسائل اخوان الصفا امعاناً دقيقاً ، لان
لهجة وتقريره في رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد في العالم وجوابه
عن ما اوردته اصحاب مذهب الجبر ورأيه في رسالته الكون والتكليف تكاد تكون
عين لهجة اخوان الصفا في رسائلهم بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله
المتقدم ذرها وبين رسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة
والتقرير وبسط الحججة ولولا ضيق المجال لقارنت بين رسائله ورسائل

اخوان الصفا مستخرجاً ما اخذه الخيام منها .

ابن سينا

صرح الخيام مرة انه تلمذ لابي علي بن سينا بقوله « واعلى ومعلّى افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا . . . » ص ٩٦ الكتاب ، وسواء صح هذا الخبر او لم يصح فان عمر الخيام قد تهافت على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً وامعاناً واحاط بجميع آرائه وافكاره في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق خصوصاً كتبه الشهيرة (كالقانون، والشفاء والنجاة) وكتابه الثاني خاص بالفلسفة .

وقد روى لنا البيهقي نقلاً عن خن الخيام الامام محمد البغدادي عند ما قص عليه خبر وفاته انه كان يتأمل في كتاب (الشفاء) ص ٩ الكتاب وقد ايد هذه الرواية الشهرزوري بقوله و كان يتأمل الالهيات من (الشفاء) ص ١٣ الكتاب ،

ولابن سينا شعر جميل بالفارسية والعربية يدل على قوة بيانه بهما وقد عثرت له على رباعية بالفارسية يرد بها على الذين كانوا يطمعون في عقيدته منزهاً نفسه مما كانوا يلصقونه به .

قال : كفرچومنی کزاف و آسان نشود

محکمتر از ایمان من ایمان نشود

در دهر چومن یکی و آن هم کافر

بس در همه دهر یک مسلمان نبود

ليس من الجزاف والسهل جحودي وكفري اذ لا يوجد ايمان احكم

واقوى من ايماني في الدنيا نظيرى واحد وذلك كافر ايضاً ؟ اذاً فلا مسلم
في هذه الدنيا .

وقد اشتهرت قصيدته العيضية بالعربية اشتهاً عظيماً وفيها من المعاني
الجليلة والمقاصد العالية والآراء الحكيمة ما تستحق لاجله الخلود .

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقا ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع

الباطنية

ذكر صاحب كتاب روضة الصفا ، الشيخ مير خنده بان عمر الخيام
قد تلمذ في عنقه ان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح في
نيسابور في مدرسة الموقف النيسابورى وذكرنا الاسباب التى جعلت بعض
الباحثين ان يجمعوا عن قبول هذه الرواية وقد ناقشناها في كتابنا ص ٢٥
وقلنا باننا قد وقفنا ازاء هذه الرواية وقفه المتردد الذى يشك تارة ويحجم
أخرى لكننا لم نشك قط في ان عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح
لان الحسن قد توفى سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفى بين سنة ٥١٧ هـ

و ٥٣٠ هو بناء على ذلك فليس هناك من ريب في ان الخيام كان معاصر للحسن .

* * *

بيد ان هناك مشكلة لم يحلها احد بعد وهي ما اذا كان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد اياه من مصر وانخراطه في سلك المحفل السرى واخذه المبادئ الاسماعيلية ام لا ؟

اننا لم نهتد الى الان الى حل هذه المشكلة ولم نعث على نص او وثيقة تاريخية تؤيد لنا وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر وليس المهم في نظرنا اجتماعهما اثناء دراستهما وانما المهم هو الاجتماع الاخير . لان التطور الفكري الذى حصل مع الحسن الصباح كان بعد اياه من مصر . وفي اليوم الذى تنحل فيه هذه المعضلة الدقيقة ، يرتفع الستار الذى كان يحول بين الباحثين وبين عقيدة الخيام وينتهى تباهل آراء العلماء في عقيدته فلا يبقى أقل شك في كونه كان باطنياً محضاً .

* * *

اما الان وليس عندي اية حجة تؤيد وقوع اجتماعهما فانى اجزم بصورة قطعية بان الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قوياً وتكاد رباعياته تسوقى الى الاعتقاد بانه كان من اعظم المبشرين بتلك المبادئ الهدامة ومن اشد المناصرين لها واعلمه كان من دعائهم على انى لا أريد ان أهم الخيام دون ان أنى بالرهان ولا احب ان ادعى بهذا الادعاء الذى انفردت به وحدى دون غيرى من غير تدليل يؤيده واليك برهاني على ما ادعيه :

- لقد تضمنت الرسالة التي بعث بها الداهية الباطني عبيد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي اشياء كثيرة كان اهمها:
- (١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات
 - (٢) انكار النبوات والمعجزات والوحي
 - (٣) القول بقدم العالم
 - (٤) ابطال القود في المعاد والنشر من القبور
 - (٥) كون الجنة نعيم الدنيا
 - (٦) ووصايا اخرى وكلها ترمي الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الاحاد
- والكتاب ٤٩ - ٥٠

هذه هي المبادئ التي كانت تسيير عليها الباطنية ومن يدقق النظر في رباعيات الخيام يجد انها تتضمن جميع هذه المبادئ. الا ما كان من امر انكار النبوات والمعجزات والوحي والظاهر ان الخيام ام كان يتجنب مهاجتها خوفا على حياته وابتعاداً من تعريض نفسه للمخاطر اما اجتراءه على اباحة شرب الخمر وجميع الملذات والقول بقدم العالم من طرفه يخفى وابطال القول في المعاد والنشر وانكار الجنة والنار فلانه محتمل التأويل على الطريقة الصوفية خصوصا للتغزل بالخمره فانه مباح لاضير فيه عند ارباب هذا المذهب اذ كانوا يريدون به «خمره الحب الالهي» و«لذة السكر المقدس» وفعلا قد اول الصوفية رباعيات الخيام وقلبوا هذه المعاني الى معاني عرفانية - كما اصطلمحوا - على ذلك وقد اخبرنا القفطي بما وقع اذ يقال «وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره

فنقلوها الى طريقهم ونحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم . . . ،
 على ان القفطى قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه وما كان يتزع اليه الخيام
 فلم يتردد في الرد عليها بقوله « وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع
 للاغلال جوامع » - الكتاب ١٤ - وفيما يلي اورد بعض رباعياته المتضمنة
 لبعض المبادئ الباطنية التي استطاع الخيام ان يبثها غير هياب ولا وجل
 قال :

يك جام شراب صد دل ودين ارزد
 يك جرعه مى مملكت جين ارزد
 جزباده ناب نيست در روى زمين
 تلخى كه هزار بار شيرين ارزد

ان كاسا من الخمره تعدل الف قلب ودين وان جرعة منها تساوى
 ملكة الصين ليس على وجه الارض غير الخمره الصافية وهى المرة التي
 تفضل الحلو الف مرة
 وقال :

تا زهره وه در آسمان كشت پديد
 بهتر زميه ناب كسى هيچ نديد
 من در عجبم زمى فروشان كاشان
 به زانجه فروشند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر في المساء مارأى احد احسن من الخمره
 الصافية يا عجبى من بائعى الخمر اى شى سيشترون احسن مما يبيعون؟

وقال :

ای دل تو باسرار معہی نرسی
در نیکنہ زبیر کان دانا نرسی
اینجا ہی وجام بہشتی میساز
کانجا کہ بہشت است رسی یا نرسی

ایہا القلب انت لاتصل الی الاسرار المعہا ولا تفقہ نکات الالباء
الفاہمین اجعل لنفسک فی ہذہ الدنیا جنتہ من الخمر والکاس فانک لاتعلم
اتناہا فی تلک ام لا ؟

وقال :

جامی روی وساقی برب کشت
بہتر زہشتی کہ خیر بودشت رشت
مشنو سخن بہشت ودوزخ از کس
کہ رفتہ بدوزخ وکہ آمد زہشت

کأس وخمرۃ وساق فی جنب روضۃ خیر من الجنة الی وعدتها
لا تسمعن من احد حدیث الجنة والنار امن ذا ذهب الی الجحیم ومن
ذا جاء من الجنة ؟

وقال :

ما لعبتکا نسم وفلک لعبتبار
از روی حقیقتی نہ از روی مجاز
بازبجہ کنان بدیم بر نطع وجود

رفتم بصندوق عدم يك يك باز
نحن الاعيب اطفال والملك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقى
غير مجازى لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم
واحداً بعد واحد .

* * *

وقال:

در دائرة كآمدن ورفتن مانت
آزانه بدايت نه نهايت بيداست
كسى نرفدمى درين عالم راست
كاین آمدن از كجا ورفتن بكجاست
لا بداية ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها ونذهب اليها لا أحد يستطيع
ان يقول من أين هذا المجرى والى أين هذا الذهاب .

* * *

أرأيت كيف يحضر الخيام على الخمر والملذات وينكر الجنة والنار
والمعاد و يصرح بقدم العالم بقوله لا بداية ولا نهاية ، لهذا العالم وإنما
المصير الى العدم ؟ الا ترى معى ان فى هذه الرباعيات مسحة من العقائد
الباطنية ؟ والان الا تعتقد معى بان الخيام متأثر بهذه المبادئ على الاقل ؟

موضوع فلسفته

درس الخيام مواضيع كثيرة وبحث في مواضيع شتى وقد تناول
بفلسفته ، اتناول غيره من المفكرين فتطرق في بحثه عن الحياة وما فيها
وخاض المواضيع الطبيعية والرياضية والالهية والعملية وتكلم عن
المادة والزمن والفلك والاله والجبر والتناسخ والبعث والدنيا والعدم
ومصير الجسم بعد الموت .

المادة والازمان

رأى الخيام في المادة والزمان رأى سائر الفلاسفة الذين كانوا
يقولون في قدم المادة والزمان وقد اكثر القول غير مرة بأن لاابدائتمولاً
نهاية لهذه الدنيا التي جئنا منها ونذهب اليها ورأيه هذا صريح في قدم المادة
وخلودها وهو يذهب الى ان الاجسام متألفة من مادة واحدة واشكال
وصور تختلف عليها والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان ايضاً .

قال : آنها که گهن شدند و آنها که نوند

هر يك يس از آمدن يكايك بروند

اين گهنه جهان به كس نماند جاويد

رفتند وروند وديگر آيند وروند

اولئك الذين هرموا والذين لايزالون احدائنا سيذهب كل منهم فرداً
فرداً بعد مجيئه ، لا يخلد في هذه الدنيا القديمة احد ذهبوا و يذهبون ويأتي
غيرهم و يذهبون

وقال
این کهنه سرا که عالم اورانام است
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بزیمست که وامانده صد جمشید ست
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل
الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر ائكا على الارائك فيه مائة بهرام

اوله

كان بعض علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويوصمونه
بالعقيدة الدهرية وكانوا يستدلون على واجب الوجود بالاستدلال على
كون العالم حادثاً غير قديم لان الشريعة الاسلامية جاءت بعقيدة التنزيه
وتقوم هذه العقيدة على ان الله ازلى ليس له ابتداء وانه اوجد العالم من
العدم فهو لذلك - اى العالم - حادث اما القول فى قدم المادة - اى قدم
العالم - لا يناقض وجود الله لان الله واجب بذاته ولان لهذه الموجودات
علة وهى ملازمة له كما يلزم المعلول علة وحيث قد ثبت بان الاشياء
صدرت عنه صدور المعلول عن علة وجب القول بقدم الاشياء ولما كان
واجب الوجود ازلياً بالعلة فالاشياء ازلية بالمعلول وقد سلك الخيام طريق
الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية وهو معتقد بآله هو الخير المحض
الذى لا يصدر منه الشر وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعاً بعقيدة
الجبريين لذلك قال :

قال : كفتى كه ترا عذاب خواهم فرمود

هرگز من ازین خبر هر اسم نفزود

جانی كه توتى عذاب نبود آنجا

وانجا كه تونیستی كجا خواهد بود

تفضلت قاتلا : انى سوف أعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر فان

المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت

لست فيه .

قال : من بنده عاصم رضای تو کجاست

تاریک دلم نور و صفای تو کجاست

مارا توبه شت اگر بطاعت بخشى

این بیع بود لطف و عطای تو کجاست

انا العبد العاصى فان رضاؤك انا المظلم قلبه فان نورك و صفاؤك ان

كنت تمبنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع فان فضلك و عطاؤك

قال : نا کرده كنه در جهان کیست بگو

وانكس كه كنه نكر دجون زیست بگو

من بد كنم و توبه مكافات دهی

بس فرق میان من و توجیست بگو

قل لى من هو الذى لم يرتكب ذنباً فى الحياة ومن ذا استطاع ان

يعيش من غير ذنب ياتيه اذا كنت تجزىنى البيئة بالسيئة فما هو الفرق

بينى وبينك .

قال: يارب خردم درخور اثبات تونیست
واندیشه من بجز مناجات تونیست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
دائمه ذات تو بجز ذات تونیست

ليس لعقلي من السعة لا ثباتك . انا لا افكر الا في مناجاتك اذا لا
اعرف ذاتك كما هي ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

قال: کر کو هر طاعتت نسفتم هر کز
کرد کنه از جهره نرفتم هر کز
نو مید نیم زیارگاه کر مت
زیرا که یکیرا دونکفتم هر کز

ولو انى لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الائم عن وجهى
لست قانطاً من باب كرمك لاننى لم اقل قط عوض الواحد اثنين

• • •

فالظاهر من الرباعيات التي ادرجناها ان الخيام كان معتقداً بمؤمناً
بوجود اله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقوق ولا حائق .
ورب معترض يقول : اننا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر
منكراً وجود حياة اخرى وقد نطقت بذلك رباعياته فكيف نوفق بين
اعتقاده بالله وبين انكاره البعث والنشر وغير ذلك بما صرحت به الشرائع
السماوية فالجواب على ذلك هو : قد ينكر الانسان الشرائع والنبوآب والوحي
ولا ينكر وجود الاله . والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود .

الجبر

صرح الخيام في رباعياته بعقيدته في الجبر مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون وما في الكون من افراد وجماعات وقال غير مرة بانه دخل هذه الدنيا مضطراً ظاهراً وخرج منها مرغماً ظاهراً ولو استشير ما اراد ولو خير ما اختار فهو لذلك لا يطمئن الى الاختيار وبناءً عليه فهو جبري بحت

* * *

ومذهب الجبر قديم جداً وقد اثبتته الشرائع كما فرغت الفلسفة من اثباته والقرآن طافح بالآيات التي نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لا تينا قل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي)

* * *

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عند العبد و يشبتون القدر و يقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان مقدرة متعلقة في ذلك الفعل ولا تأثير لتلك المقدرة على الفعل ومنهم من يشبت للعبد قدرة ذات اثر في الفعل و يقولون ان الله مالك في خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل فلو ادخل الخلائق اجمعين الجنة لم يكن حيفاً ولو ادخلهم النار لم يكن جوراً بل هو في كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف فيما يملكه المتصرف .

واول من صرح بهذا الرأي هو جهم بن صفوان (١) وهو من
 الجبرية الخالصة . قلنا ان الفلسفة قد فرغت من اثبات الجبر وذلك لان
 الاختيار (٢) اما ان يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمملوها
 والنتيجة بمقدمتها اولا ، فان تكن الاولى فهو الجبر . اولا يمكن ان يتخلف
 المعلول عن علته . ولا ان يحول النتيجة عن مقدمتها واذا فادعا الاختيار
 ليس الاغروراً ، وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها ، واصبح
 العالم ملعباً مختلف فيه المصادقات وهو ما لا شك في بطلانه . اذا فليس
 عن الجبر ، محيد ، ولا عن الاضطرار من رحل . ومن مصادر الجبر الايمان
 بشمول القدرة والعلم الالهيين فان شمول القدرة يقتضى ان لا يكون
 في هذا العالم شئ الا اذا تعلق به قدرة الله . فاذا فعل الانسان شيئاً
 فاما ان يكون مختاراً فيه ، او غير مختار فان يكن مختاراً فهذا الفعل واجب .
 وان لم يتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم اصل القدرة ، وان يكن
 غير مختار فهو الجبر الذي لا شك فيه ، اذا فالدين والفلسفة يتظاهران
 اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك بمضربا عياته التي تضمنت عقيدة الجبر

قال : من مى خورم وهركه جو من اهل بود
 مى خوردن او نود خرد سهل بود

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٦٠ طبع ليبسك

(٢) هذا رأى العلامة الكبير الدكتور طه حسين ، ذكرى ابن العلاء

ص ٣٥٢

می خوردن من حق زازل میدانست
کرمی نخورم علم خدا جهل بود
انا اشرب الخمره ویشربها کل من هو اهل لها مثلی فان شربه لها
لیس بصعب فی نظر العقل لأن الله کان یعلم منذ الازل بانی ساشربها
فانا ان لم اشربها فعلمه اذا یكون جهلا - خطأ -

قال: برر همکدرم هزار جا دام نهی
کوی که بکیرمت اگر نام نهی
یک ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم توکنی وعاصیم نام نهی؟

تضع الاشرک فی الف مکان فی سبیلی وتقول اذا وقعت فیها فانی
مبیدک لا تخلو ذرة فی العالم من سلطانک انت تقدر علی الحكم وانت
تنتعی بالعاصی؟

قال: از آب وکلم سر شته من جه کنم
وین بشم مرا تو رشته من جه کنم
هرنیک ویدی که از من آید بوجود
توبر سر من نوشته من جه کنم

ماذا افعل یا الهی وانت الذی جبلتني من ماء وطين وانت الذی
غزلت صوفتي انت کتبت علی کل ما یصدر منی من خیر وشر فی هذا
الوجود فاذا افعل؟

يزدان جو كل وجود ما می آرامست
دانست ز فعل ماچه بر خواهدخواست
بی حکمش نیست هر گناهی که مر است
بس سوختن قیامت از بهر چه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التي ستصدر منا
ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه اذا فلماذا يصلينا في السعير يوم
القيامة؟

قال: آورد باضطرارم اول بوجود

جز حیرتم از جهان جیزی نفزود

رفتم بالراه وندانیم چه بود

زین آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم مني الى الوجود ولم اردد غير الحيرة في هذه الحياة

ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا

وقد عثت على تصريح صريح لعمر الخيام في الجبر بصورة لا يحتمل الشك

ولا التأويل فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل كان احداها: (١)

اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق: الجبرية القائلون

ينفي الاخبار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله؟

وقد اجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الاستثانة الثلاث تحليلا

علياً فلسفياً دقيقاً وكان جوابه عن الجبر عريان صريحاً فقد قال: —

(١) جامع البدائم ص ١٧٥ - ١٨٠

ولعل الجبري اقرب الى الحق في بادى النظر وظاهر الحال من غير
ان يتلجلج في هذيانه ويتغافل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق .
وتصريحه هذا كاف للتدليل على انه كان جبرياً معتدلاً .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية
وظهر في صدر الاسلام وكانت بعض الفرق من الغلاة تدين به كاصحاب
عبد الله بن سبا الذي قال بالوهية على عليه السلام ، مثل هؤلاء اصحاب
ابي كامل الذي كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ منتقلاً من شخص
الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص امامة وربما
تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت
ومذهبهم هو ان الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص
من اشخاص البشر . وفي كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافتهم
وترهاتهم .

وقد عثر المستشرق البروفسور « زوكوفسكى » في تاريخ الالفى لمؤلفه
« احمد بن نصر الله تنوى » على رواية استدل بها على رسوخ عقيدة
التناسخ في نفس عمر الخيام .

وتتلخص الرواية في انه كانت في نيشابور مدرسة قديمة وكانت
المدرسة في حاجة الى ترميم واصلاح وكان سرب من الحمير يحمل الآجر
الى المدرسة وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشى في فناء المدرسة مع

جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف في باب المدرسة محجواً عن الدخول
ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ في اذنه هذه
الرباعية :-

اي رفته وباز آمله بل هم كشته
نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمله وسم كشته
ريش او ريش لوان در آمله دم كشته

اثنى :- يا ايها الذي ذهب وعاد مرة اخرى وحصار كالاتعام قد ضاع
اسمك بين الاسماء وقد اجتمعت اظايفك وحصارت ضلماً وظهرت
لحيثك في مجزك وحصارت ذيلاً .

وبعد تلاوة هذه الرباعية دخل الحمار المدرسة ، تسألوا من الحكيم
السبب قال ان الروح التي تعلقك بجسم هذا الحمار كانت زوع استاذ في
هذه المدرسة لهذا لم يشأ الجوار الدخول ولما علم ان الاصدقا قد عرفوه
دخل . انتهى .

هذه هي الرواية التي وردت في تاريخ الالفى وقد عثر عليها المستشرق
البروفسور زوكوفسكى ، وهي ولا شك من الروايات المختلفة التي
لا ظل لها من الصحة ابدأ ومكذبة من وجوه اولاً : لم يذكر لنا اخذ
بان الخيام كان استاذاً في مدرسة نيسابور . ثانياً : الخيام انكر الحشر
وقال بالتقدم ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ . ثالثاً : اذا صححت
هذه الرواية فلا اشك في ان خياماً اراد بذلك المزاح والسخرية ومفاكحة

تلاميذه وعلى كل فان الخيام برى من هذه النعمة وعقله الراجح ارفع
من ان يؤمن بفكرة الاقوام المنحطة .

البعث

لا يرتاب ارباب الديانات في البعث بعد الموت والقران نزل جاملا
عقيدة حشر الاجسام وقد جاء فيه ذكر يوم القيمة مشفوعاً بالوعيد
والوعيد والمسلمون مختلفون في كيفية وقوع الحشر فقسم يقول بحشر
الاجسام وبعض يدعى ببعث الارواح دون الاجسام اما ارباب المذهب
المادى فانهم ينكرونه بتاتا والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام
وبعث الارواح لكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت
الى عالم عقلى ، والقدماء من المصريين اعتقدوا بخلود الروح ورجوعها
الى الجسد فى الدنيا ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام
من البلى .

وكان الخيام منكرآ للبعث وقد فهمنا ذلك عند بحثنا فى مصادر
فلسفته اذ قد برهنا على انه كان متأثراً بالعقائد الباطنية وقد صرح
فى كثير من رباياته بان فكرة البعث والمعاد وهم وخيال لا حقيقة
لها والذي يخاطب الناس بقوله : « انت لست ذهباً حتى اذا دفنوك
اخرجوك وانت ذهب ايضاً ، هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد .

الروح

من المشاكل العظيمة التي لم يمتد الى حلها الناس قدماً وحديثاً

مشكلة الروح والجدل حول الروح قديم جداً وقد كثرت فيه الأقوال
والمعتقدات وذهب كل فريق فيه مذهباً خاصاً وكان قد بحث أولاً في
ماهيته وهل هو متحيز، أو حال في التحيز، أم موجود غير متحيز ولا
حال فيه؟ ثانياً أقدم هو أم حادث؟ ثالثاً أبقى بعد فناء الأجسام
أم يفنى؟ رابعاً ما حقيقة سمادة الأرواح وشقاؤها فقيل إنه جزؤ
لا يتجزأ من أجزاء هوائية في القلب وقيل هو الدماغ وهو جزؤ
لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة في الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل
هو الدم المعتدل إذ بكثرته تقوى الحياة وبفناؤه تنعدم.

والإمام الغزالي يقول: الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في إنا
ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم في العالم بل هو جوهر لانه
يعرف نفسه وخالفه ويدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ
وشي لا ينقسم. والشرايم السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته ويسألونك
عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلاً.

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة في رباعياته الأمر الذي كان
يدل على أنه كان يعتقد بوجود الروح لكن الشيء الذي لم يفهمه هو أنه
هل كان معتقداً بخلود الروح اعتقاد الأفلاطون أم لا: قال

درياب كه از روح جدا خواهي شد
در پرده اسرار فناخواهي شد
من نوش، ندای زجا آمده
خوش باش! ندانی بکجا خواهي شد

افق ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار اشرب
الخمرة ! انك لا تدري من اين اتيت واسعد ! انك لا تعلم الى اين تذهب
قال :
اوتن جو برفت جان باك من وتو
خشى دونهند برمغاك من وتو
وانكه زبراى خشت كور دگران
در كالبدى كشنند خاك باك من وتو

حين تخرج من جسدى روحى وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على
لجدى ولحدك ثم لاجل لبنتين اقبر اخر يضعون ترابى وترابك فى القالب (١)

(١) وقد وقع لاستاذنا الشاعر الفيلسوف حادث خطير فى مصر قبل خمس
سنوات وشيخنا ماضى بحت لا يطمئن الى الاعتقاد بخلود الروح وقد صرح
بعقيدته هذه فى كثير من قصائده الخالدة وقد نشر اثناء بقائه فى مصر قصيدة
تحت عنوانه الدمع ينطق ، احدث به اهزة فى الخواطر فهب بعض الازهرين
وعلى رأسهم عالم ازهرى اسمه ، الشيخ قطييط ، وهاجموا الزهاوى نثراً ونظماً
فانتصر له اديب مصر الفذ الاستاذ عباس محمود العقاد الملقى فى ظلمات
السجون اليوم ولم تنطفى لهيب هذه الفتنة الا بعد ايام الاستاذ الى بغداد
وهاك بعض ابيات من القصيدة التى انكر فيها الروح انكاراً صريحاً قال :
وسائلة هل بعد ان يعبث البلى باجسادنا نحيا طويلا ونرزق
فقلت مجيباً انى لست واثقاً بغير الذى حسى له يتحقق
وهيات لا ترجى حياة لميت اليه البلى فى قبره يتطرق
تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

الدينيا

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحزن
والمصائب وقد اكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام
هو الذي زهد في عينه الدنيا وكره اليه الحياة، قال :

جون مردن تو مردن يكباري است
يكباري پر اين جه ييجاري است
خوني ونباسني وشمي ريك وبوست
انكار بنود اين جه غمخوار كي است

لما كان موتك مرة واحدة . مت مرة واحدة . ماهذه المسكنة ؟ دم
ونجاسة وضم من عظم وجلد فما هذه المحنة من اجل شي تافه حقير .
قال :

دينا بهرادرانده كير اخرجيه
وين تامه عمر خوانده كير اخرجيه
كريم يكام دل بهاندي صد سال
صد سال دكر بهانده كير اخرجيه

ما العقي اذا بلغ المرء من الدنيا المراد . وما الغاية اذا قرأ الانسان
كتاب اعماله . فلنفرض انك نلت مرامك . ساء عام . وعش بعدها مائة
اخرى فيهي النتيجة .

قال :

دنيا نه مقام تست ، نه جاي نشست
فرزانسه در او خراب اولتير دمست

بر آتش غم زباده ابی میزان

زان بیش که در خاک روی باد بدست

لیست! لدنیا بدار قرار و دار اقامة . افضل للحکیم فیها ان یكون
ثملاً وفانیاً اسكب ماء الخمره علی نار الغموم قبل ان تذهب الی القبر
صفر الیدین .

ولعل من اسباب کراهیه الخیام للحیلة انه کما یرى ان وضع
الخلق غیر صحیح ولا مستند الی امس جیده وان نظام الحیاة الحاضر
لا یجلب السعادة والسلام . وقد تمنی فی احدی رباعیاتہ ان تكون له
قدرة لقدرة الله علی الفلك لهدمه ویبني فلکاً جدیداً ینبع فیہ الأحرار
مرامهم بسهولة .

قال : کر برفلکم دست بدی جون یزدان

بردا شمی من این فلکرا زحیان

از نو فلک دکر جئان ساختمی

کآ زاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنة خالق لتضيت على هذا الفلك
ولخلقت فلکاً غيره على ان يبلغ المرء فيه مراده بدون عناء .

تکبر بهضم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخراف على جبله الطين باغتساف وكم اوصى
الكواز بالرفق وكم صاح بالتاس ان يخففوا الوطأ في مشهم على
الارض كما تلالا ان الجوام الذي تشربون به الخمر والكوز الذي تشربون
منه الماء والتراب الذي تطأونه باقدامكم هو من عين احوز اعن

وخذ مليحة عذراء ورأس كينخسرو وكف افريدون وهو في كل ذلك
يقدم موعظة للمغرورين في الحياة مديناً لهم مصيرهم وهو في اثناء
ذلك ينمى جسده ويبكى جثمانه بحرقة وألم : قال

این کوزه جو من عاشق زاری بودست
در بند سر زلف نکاری بودست
این دسته که در کردن او میبینی
دستیست که در کردن یاری بودست

كان هذا الكواز مثل صبا قد علق بفرع مليحة هيفاء وهذه العروة
التي تراها في جيدها كانت بدأ تعتنق احدى الحسان
این کوزه کران که دست در کل دارند
عقل و خرد و هوش بران بکارند
بر کل لکد و تبا نجه تاجند زند
خاک بدنست تاجه میبندارند

هه لاء الكوازون الذين ايديهم في الطين . منحصرة عقولهم وافكارهم
فيه الى متى يرطلون ويصفعون الطين ، هذه اجسام حتى م هذه الظنون ؟

هان کوزه گرا بیای اگر دشیاری
تاجند کنی بر کل ادم خواری
انکشت فریدون وکف کینخسرو
برجرخ نهاده جه میبنداری

ایها الکوازان کنت واعياً . حتى م تهین طينة الانسان . ان الذى
وضعتہ علی الدوار هو ائمة فریدون وکف کینخسرو ماذا تظن ؟

مذهبه الفلسفى

اما وقد فرغنا من البحث فى موضوع فلسفته فلم يبق سوى ان نقول
كلمتنا فى مذهبه الفلسفى ونعنى بذلك نوع عقيدته واتجاه نظره فى الحياة او
بالاحرى تحقيق الغاية التى كان يستهدفها والمقصد الذى كان يرمى اليه
وهذا الموضوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت فى عقيدته
والانصاف بحملنا على التصريح بانه من المنصب جداً اصدار حكم عادل
فيه اذ ليس هناك من ادلة قوية وقرائن قطعية تخولنا ان نحكم على حكيم مفكر
سلخ اعواما طوالا فى البحث والتفكير فى شؤون الحياة غير صحائف
صفراء بالية تعرضت لشخصه ورباعيات هى نفثات جاشت فى صدره ففاض
بها لسانه وقد طواه الردى فهرع الى احضان الابدية قبل تسعة عصور .
قبل تسعة عصور وقد الخيام فى لحده فى نيسابور ولم يترك بعد
رحلته الابدية غير بضع رسائل ورباعيات تناولها الباحثون فى حياته وادبه
واخذوها حجة عليه ومداراً للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفى .
ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون فى ادب الخيام وذهبوا فى
عقيدته مذاهب شتى ورجوه بالظنون فمن منكر لشخصه ومن مدع انه
كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا ومن زاعم انه كان صوفيا يتغنى بجمال
الله ثملا بخمرة الحب الالهى المقدس وقائل انه كان مرتابا متشاماً الى غير
ذلك من الاقوال والمدعيات وكل ما لديهم من سند للحكم عليه فهو
اقواله ورباعياته .

ولكن ما قيمة هذه الرباعيات في اصدار الحكم عليه ، وليس لنا من العلم ما يحقق ان الرباعيات المتداولة الان بنهاها هي ليعمر الخيام. وانها نتاج قريحته وحدها وانها بريئة من شوائب الهدس والانتحال وقد بينا عند بحثنا في رباعياته اختلف العلماء الباحثين في عددها . راجع ص ٨٩ من الكتاب .

ولنسلم جدلاً بان لا اثر لاقول شبهة في كون هذه الرباعيات كلها له من غير شائبة فيها للهدس والانتحال قبل يصح ان تعتبر حجة على الخيام جرياً على القاعدة العلمية القائلة ، يؤخذ المرء باقراءه ، ١٤

الجواب على ذلك : كلا ١٤ واليك السبب

سمعت الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ينشد :

عبدتك لا ادري ولا احد درى اسرك ام صدر الطبيعة اوسع
عبدت اسمك المحمود في الليل والنهى اذ الشمس تستخفى اذ الشمس تطلم
فايقنت ان الكون بالله قائم وايقنت ان الله للكون مبدع
وانك معنى والخلقة لفظه وانك نور والخالقة برقم

—o—

ثم اشتهر عنه بيتان وقد سمعناه يقرأهما متحذراً محتاطاً والبيتان لا يشتم منهما الاعتقاد بالله والايمان به .

لما جهات من الطبيعة سرها واقت نفسك في مقام معلل

اثبت رباً تبتغى حـلا به المشكلات فكان اكبر مشكل

—♦—

والان فباى القواين نأخذ وبأيهما نحتج على عقيدة الزهاوى وايمانه بالله وكيف نستطيع ان ندعى بان الزهاوى مؤمن او نقول انه غير مؤمن وبين ايدينا شعران متناقضان وبأى شىء نتوسل لحل هذه للمعضلة انقول ان الزهاوى ملحد لا يؤمن بالله وقد اراد ان يتقى الاخطار بالآيات المتقدمة ام نقول انه مؤمن ولكنه احب ان يتعمد الكفر لاسباب لانعلتها لاندرى؟ والعلم لم يتوصل الى الان الى قراءة ماتكته الضمائر وتخفيه الصدور.

انرجع الى البحث فى الرباعيات كى نرى ما اذا كان فى الامكان اعتبارها حجة عليه او لا؟

ان الشكوك التى تعترينا فى هذا الصدد فتصدنا عن اصدار الحكم عليه كثيرة واهمها انه لم يثبت الى الان بالبرهان القوى ان الرباعيات الموجودة فى ايدينا كلها لعمر الخيام ثم اتنا نجمل الوقت الذى نظمها فيه أنظمتها فى عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهو اجس وخطرات كثيرة ام فى عهد كبره وفي الكهولة نضوج العقل وتوازن الفكر واستقامة الراى ام فى دور شيخوخته وفي الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر ام نظمها خلال حياته جميعها . كل اولئك مجهول لدينا اذ ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذى نظمت فيه .

هنا اتنا عثرنا على رباعيات خطها الخيام ببراعته وهبنا اتنا علمنا بانه قد

نظمها في عهد نضج فيه عقله واستقام فيه رأيه وفكره وقوى فيه منطقته
وتوازنت محالته فهل يصح ان نستدل ونحتج بها على نوع العقيدة او المذهب
الذي يدين به الخيام ؟

الجواب على ذلك ؛ كلا . . .

ليس في هذه الحياة شيء ثابت ، فالكون والانسان والحيوان والنبات
والمذاهب والاراء والمعتقدات كل اولئك عرضة للتطور على الدوام والاستمرار
وليس في الكون حقيقة ثابتة الا الشك وقد اشبهه في الاحكام التي
يصدرها العقل واتهم بالضلال والشعور منهم اكثر منه لكونه عرضاً للاندفاعات
والتخلاف موجود بين الناس حتى في المحسوس .

اذاً فما قيمة التصريح والانسان عرضة في كل وقت للتطور وما قيمة
القول والمرء يتقلب بين عشوية وضواها وفق ميوله وعواطفه واهوائه
وما قيمة الرأي اذا كان الرأي وليد انفعالات نفسية عاطفية وما قيمة
العقيدة اذا كان مائرا حسناً اراه قبيحاً ومائرا فضيلة اراه رذيلة ومائرا
شرا اراه خيراً ؟ وليس في ايدينا مقاييس وقواعد قطعية نستطيع ان نميز
بين الحسن والقبح والفضيلة والرذيلة والشر والخير ولذلك يتعذر البت في
عقيدة اي كان فضلا عن الخيام المحاط بالغموض والابهام

وانا اتهيب من ان اسند اليه امرأ وكل ما لديه من الحجج هو بهض قطع من
شعره - ربا عياته - خشية ان اسئ الى الرجل باسناد امر ليس له ضام فيه
واذا كان لا بد من ابداء الرأي في هذا الصدد فاني احمل نفسي على
ابداء رأيي وانا شاك مرتاب كل الارتباب فيما اقوله وازعمه واستغفر الخيام

في لحده ا استغفر روحه من كل هفوة ومن كل ما انسبه اليه وهو برآء منه،
 اقول : — ان الذي بدى لي من رباعيات الخيام — انه كان جم الشكوك
 كثير الارتباب، عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة عساة بالهواجس
 والخطرات ونفس متألمة مكتنفة بالسوساوس والخيالات وقد ظهرت شخصيته
 في رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق بما يدفع الباحت الى الاعتقاد بانه
 كان « لادرباً .. »

الادارية

واللادارية مذهب فلسفى يقوم على الاعتراف بمعجز العقل البشرى
 عن ادراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها وبمعجز العلم اللدنى عن
 الوصول الى فهم هذه المجردات وكان الخيام كما قد ظهر لي من رباعياته
 لادرباً يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم في كثير من رباعياته
 بمعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنانكه به كار عقل در ميكوشند
 هيات كه جمه كار نرמידوشند
 آن به كه لباس ابلهى در پوشند
 نامروز به عقل تره مي نفروشنند

اولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل هيات انهم يلبون ثور
 الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة اذ لا يشتري اليوم بالعقل باقة من

حشيش

آنانکه محیطِ فضل و آداب شدند
واز جمع کمالِ شمع اصحاب شدند
ره زین شب تاریک نبردند برون
گفتند فسانه و درخواب شدند

اولئك الذين احاطوا بالفضل والادب ومن جمع الكمال اتصخوا
شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق في هذا الليل الدامس وانما
فاهوا ببعض الاساطير وناموا.

دل سر حیات الر کاهی دانست
در مرک هم اسرار الهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فرداه زخود روی جه خواهی دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هي لعرف ايضاً في الموت الاسرار
الالهية انت لا تعلم شيئاً وانت مع نفسك فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها

قومي متفكرند در مذهب ودين
جمي متحيرند در شك و يقين
ناكاه منادي در آيد زمين
كاي بيخبران راه نه آنست و نه اين

قوم يتفكرون في المذهب والدين ، وجماعة محاربة بين الشك واليقين
واذا بالمنادي يهتف بهم من عالم الغيب ايها الغافلون الطريق لا هذا
ولا ذاك .

يظهر بما قدمنا ان صهر الخيام كان لا ادرياً ، كما نطقت بذلك رباعياته
وانه قد اعترف بعبجز العقل البشرى والعلم اللدنى عن ادراك التجردات غير
ان لا ادريته القوت في نفسه اثرأ شيئاً بعث فيه روح التشاوم وجعله ينظر
الى الحياة نظر قانط وبتغص الى قلبه الدنيا وما فيها تمنى العدم واثرة على
الوجود وما تمنى العدم والفناء الا لانه كان يخافها.

ooo

كنا نشعر بدافع الغريزة باننا مقطورون على حب البقاء وحب البقاء
يدفعنا الى ان نحب الحياة ، لما كان الموت آفة الحياة فكنا نشعر باننا
نخاف الموت ونفر منه واذا ذكر احدنا الموت ارتعدت قرائنه وصدأته
هزة هنيئة في شعوره ووجدانه فلا ادريه الخيام وجهله الخليفة والحياة
والعدم وخوفه من الموت — الفناء ، كل ذلك ولد فيه التشاوم
اذاً فالتشاوم هو وليد حب الحياة والبقاء ، لهذا ترى الخيام يتمنى لو انه
يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مات الالوف من السنين كما يعود الله العشب .

ايكاش كه جاي آرميدت بودى

يا اينره دوررا رسيدت بودى

كاش از بي صد هزار سال از دل خاك

جون سبزه اميد برد ميدن بودى

يا حبذا لو كان للراحة محل ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل

ويا حبذا لو كان هناك امل في العودة الى الحياة بعد مات الالوف من

السنين كما يعود العشب من قلب التراب

التشاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر في ديانة البوذيين ويقوم على ان العقل يرتأى ان كل شيء في الدنيا سىء ووردى بل اردأ ، يمكن ان يكون وان بجموعة الشرور في الحياة تنعدي بجموعة الخيرات وقد شمت هذا العقيدة الحياة كلها وكان اساس مرضعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللاذة والالم (١) على انه يجب التفريق بين المتشائم وبين المعتقد بفلسفة التشاؤم فالخيام لم يكن متشائماً ماقتاً للحياة كابي العلاء المعرى الذى آوى في عقر داره وسمى نفسه رهين المحبسين ، ولا اشك في ان الخيام قد متع نفسه بالمذات ولم يقصر في اقتناص ساعات السرور لكنى اعتقد انه كان معتقداً بفلسفة التشاؤم والفرق بين المعرى والخيام في هذا المطلب هو ان المعرى كان متشائماً بنفسه ومعتقداً بفلسفة التشاؤم ايضاً فتسميته لنفسه رهين المحبسين ، وانزواه عن الناس دليل على انه يحمل روحاً متألمة متشائمة وقوله بان الشر طبع وان جذوره متأصلة في قلوب الناس دليل على اعتقاده بفلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب لا ادر به .

(١) ونقيض مذهب التشاؤم مذهب التفاؤل الذى نشأ على يد الحكميين اليونانيين سقراط و افلاطون و يقوم على ان الحياة جميلة في جميع وجوهها او على الاقل ان الخير في هذه الحياة غالب على الشر وقد نظمت الامور بحيث ان الانسان يرى في هذه الحياة سعادة اكثر مما يرى فيها شقاء .

وهناك من يرى ان التشاؤم والمعتقد بفلسفة التشاؤم مريض
اصيب بامراض عصبية روحية عقلية او لم يكن له نصيب من التهذيب
ومن التربية الصحيحة المستقيمة او انه سليل ابوين احدهما مصاب بمرض
ارثي والتشاؤم ينشأ ويتفشى في المناطق الحارة الموبومة والمفعمة بالاساطير
والخرافات (١)

ولعل الفتر والمرض من اهم الاسباب والعوامل في تشاؤم
وفيما يلي ثبت بعض رباعيات تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم دراو فتاده جون مرغ بدام
دلخسته روز كار و آشفته مدام
سركشته درين دائره بي در وبام
ناآمده برمراد و نار فته به كام

وقمنا في هذه الحياة وقوع الطير في الفخ مفودين من الدهر طائشين
على الدوام تائمين في هذه الدائرة التي لا سطح لها ولا باب لاجتئنا باختيارنا
ولا ذهبنا بارادتنا !

قال :

جون حاصل آدمي در اين شورستان
جز خورون غصه نيست ياكندن جان

رأى المرئي الكبير ساطع بك الحصري

خرم دل انکه از جهان بیرون شد
آسوده کسی که خود نیامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان في هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب
النفس فطوبى لمن خرج منها او لم يجهى اليها

روزی که دو مهانست میخور می ناب
کاین عمر دو روزه بر نکرد دریا
دانی که جهان رو بخرابی دارد
تو نیز شب و روز همی باش خراب

اشرب الخمر الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذي هو عبارة عن
يومين لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب
فكن انت خراباً ليلاً ونهاراً.

ولما رأى الخيام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحياة وان همرا الانسان
قصير وعرضه للالام والشور ارتأى ان خير وسيلة تنقذ نفسه من هذه
الهواجس والخطرات الاليمه والشكوك المضمية ان ينهز الفرص وان
يتمتع بالاستطاع بملذات الحياة وان لا يحزن لما يلاقه في غد وان لا يتحسر
على ما خسره بالامس وان يقطع صلته من الماضي والمستقبل وان يهتم
بالساعة التي هو فيها.

وصفوة القول ان شكوك الخيام ويأسه وآلامه دفعته الى الاخذ

بالفلسفة السلبية وهي اشد خطراً من غيرها على البشرية

قال :

روزی که گذشته است از و یادمکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنامه و گذشته فریاد منه
حالی خوش باش و عمر بر باد مکن

لا تذكر اليوم الذي مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد ولا تفزع بما
لم يات وما مضى طب نفساً ولا تنصر عيشك

قال :

می نوش که عمر جا ودانی این است
خود خاصیت دور جهانی این است
هنکام کل ومل است و یاران سرمست
خوش باش دمی که زندگانی این است

اشرب الخمر لانها الحياة الدائمة هي وحدها منبهة الدنيا . الوقت وقت
ورد وطرب والاخلاء سكارى اسعد لحظة هذه هي الحياة

قال :

این عقل که در راه سعادت بوید
روزی صد بار خود ترا میکوید

در ياب تو اين يكدده فرصت كه نه
آن تره كه بدروند وديكر رويد

هذا العقل الذى يطوى طريق السعادة يقول لك فى اليوم مائة مرة
افق انت فى هذه الفرصة لست كالنبات الذى ظلم حصدوه نبت
هذا هو رأى فى الخيام ومنه يفهم انه كان - على ماظن - لا ادريا
متشائماً سليماً ولست ادري اكان الخيام كما بينت او لم يكن على انى لا ازال
شاكا مرتابا فيما قلته وانى اعود فاستغفر روح الخيام اذا كنت قد هفوت
او اسندت اليه ما ليس فيه .

(-)(-)

نظـر رآؤه

ابن الشبلي البغدادي

ومن الذين يضارعون الخيام في التفكير ويشابهونه في الاحساس والشعور ويشاردونه في التذمر والشك حذر القذة بالقذة حكيمان عربيان هما الشاعران محمد بن الحسن بن عبد الله الشبلي ابو علي الشاعر الحكيم البغدادي وابو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف الكبير

وكان ابن الشبلي معاصراً لعمر الخيام ، وقد ولد وتعلم ومات في بغداد الا ان المؤرخين لم يكتبوا وباللأسف ترجمة مفصلة له . وقد بذلت جهداً عظيماً لا تقف على ترجمته فلم اظفر بطائفاً وكل ماورد عنه في كتب المترجمين مثل ابن ابي اصيبعة وابن خلكان انه توفي في محرم سنة ثلاث وسبعين واربعمئة ٧٣٤ هـ ودفن بباب حرب وكان شاعراً مجيداً وله ديوان شعر وكان ظريفاً نديماً مطبوعاً .

وقد وجدت لابن الشبلي شعراً عربياً عليه مسحة من روح الخيام وتفكيره ونفحة من شعره وفيه نفس التذمر والشك والتشاؤم الموجود في رباعيات الخيام فكان ابن الشبلي ترجم الرباعيات او كان الخيام ترجم شعر ابن الشبلي وكانها شرباً هذه المعاني من معين واحد واخذها هذه الاراء من منهل واحد .

وفيما يلي ندرج بعض قطع شعرية لابن الشبلي تدل على وجود مقاربة ومثابة في الشعور والتفكير بين الحكيمين الفارسي والعربي .

غابة الحزن والسرور انقضاء
لا لبيد باريد مات حزنا
مثل ما في التراب يبلى للفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء
غير ان الاموات مروا وابقوا
انما نحن بين ظفر وناب
تتمنى وفي المنى قصر العمر
صحة المرء للسقام طريق
بالذي نفتدى نموت ونحييا
مالقينا من غدر دنيا فلا كما
صلف تحت راهد وسراب
راجع جودها عابها فمهما
ليت شعري حلما تمر بنا الايام ام ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون في عالم الكو
وقليلا ما يصحب المهجة الجسم ففهم الشقاء وفهم العناء
قبح الله لذة لشقانا
نحن لولا اله جود لم نألم الفقد فاجادنا علينا بلا

وله :

بربك ايها الفلك المدار
مدارك قل لنا في اي شيء
أقصد ذا المسير ام اضطرار
ففي افهامنا عنك انهار

هلالك ام يد فيها سوار
 باجنحة قوادمها قصار
 عراه من نوائها طوار
 هي العجاء ما جرحت جبار
 يضير وما بلا ليل نهار
 وحل بآدم وبنا الصغار
 ولا عجل اضل ولا خوار
 علينا نعمة وعليه عار
 ويذبح في حشا الام الحوار
 خروج الضب اخرجة الوجار
 نشاور قبله او نستشار
 فقيم يقول انجمها انكدار

فطوق في المجرة ام لائل
 وفيك الشمس رافعة شعاعا
 ودنيا كلما وضعت جنيناً
 هي العشراء ما خبطت هشيم
 فكم من بعده عفر وعقر
 لقد بلغ العدو بنا مناء
 وتنها ضائمين كقوم موسى
 فيالك أكلة ما زال فيها
 نعاقب في الظهور وما ولدنا
 ونخرج كارمين كما دخلنا
 وكانت انعماً لو ان كونا
 ولا ارض عصته ولا سما

وله:

متلوناً والحسن فيه معار
 ومكلف وكانه مختار
 حظ تحيل صوابه الاقدار
 لا يسترد الفاتت استبصار
 ويرد فيه وقد جرى المقدار
 ندماً اذا لعبت به الافكار
 حتى يدينه له الاصدار

وكأتما الانسان فيه غيرة
 متصرف وله القضاء مصرف
 طوراً به تصبو الحظوظ وتارة
 تعمى بصيرته وتبصر بعدما
 فراه يؤخذ قلبه من صدره
 فيظل يضرب بالملامة نفسه
 لا يعرف التفريط في ايراده

ابو عمرو المعري

كنت في اثناء درسى لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين عمر الخيام وابي العلاء المعري وكنت كلما اعمنت النظر في اقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشأا في حضان أب وام وتعلما في مدرسة واحدة وتربيا في بيئة واحدة وطراً عليهما ، من شؤن الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت اراؤهما ونظراتهما في الكون ، لقلنا ان المعري والخيام اخوان شقيقان وفرطان من غصن واحد فكان المشيئة الالهية قد قدمت من ادبهم واحد وجبلت طبيئتهما في آية واحدة وفي آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بأيديهم ماقتاً لهم مستهزئاً بهم مستخفاً بمقاتلهم ومبادئهم وكلاهما مبنغض للدنيا متطال لامور غامضة اجل شأنها واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأي جري على البوح بمذبه ، الافتراضات كانا كلاهما يراهم فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادوا لنا لا وفرأ وذهباً وفضة ، وكلاهما عاش عزباً لم

يتزوج و كلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فأنض بالاراء
الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما
اجتمع اخوان الصفا خفية وابرزوا رسائلم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين
على تقارب في العلوم والمعارف . اما تأليفها فقليلة ايضاً واما السياسة
في زمانها فتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري .
واما فارس فقد كانت رحي الحرب فيها دائرة كل المادة التي عاش فيها
الخيام فانه نشأ في اكناف الدولة الساجوقية التركية التي قامت مقام
الدولة الغزنوية ولم تقم الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع
سلطان هذه الحكومة في ايام ماكشاه ٤٦٥-٤٨٥ الذي كان يحل عمر
الخيام اجمالا نظماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهد
اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي
ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه
الاخر (نظام الملك) بطعنة باطنى .

ولودتها ووفاتها

تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما اختلفت
في السنة التي توفي بها فالملولون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت
سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته
وظها بين سنة ٥٠٨ - و ٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفي في اوائل القرن
السادس للهجرة وذك عن النظام - وهو تلميذ خيام - انه زار قبره
في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات

انها مسما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوماً بضعف العقيدة الإسلامية
ومتهما بالزندقة وذكات لفظة الزنديق ، في عصرهما تطلق على الاحرار
المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور وقد اودت
هذه التهمة بحياة الكثيرين من الفضلاء امثال صالح بن عبدالقدوس
وبشار بن برد ومنصور الخلاج والسهروردي قتيل حلب وغيرهم .

اما ابو العلاء المعري فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من
قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من
الأمي الكريم فقرأه ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سيلاً ، يريد بذلك اهانة الشيخ والتعريض به ، وقد تألم ابو
العلاء من ذلك الوقح فهجاه بيتين .

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك
الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال
المنازي : والآخره ، فقال ابو العلاء : والآخره ؟ ، ثم اطرق ولم يكلمه
حتى قام عنه المنازي .

وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم اهج
احداً ، قال صدقت الا الانبياء وقال فتغير لونه .

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعري فقد قال فيه شيخ نجم الدين
الرازي ، في كتابه « مرصاد العباد » انه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين

الطبيعيين وقد احتج نجم الدين على زندقة الخيام بالرباعيتين التاليتين :
در دائره كآمدن ورفتن ماست
آز رانه بدایت نه نهایت بیداست
كس مي نزند دمي درین عالم راست
كاین آمدن از كجا ورفتن بدجاست
لا بدأ ولا انتهاء لهذه الدائرة التي جئنا منها لا احد يستطيع ان يعلم
من أين هذا المجيء والى أين هذا الذهاب .

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز از جه سبب فكنندش اندر كم وكاست
كرز آنكه بد آمد این صور عیب كراست
ورنیک آمد خرابی از بهر جه خواست
لاى سبب يهدم الله الحیاة والانسان بعد ان كان هو الذى ركب
الطبائع فاذا جاءت رديئة فالعاب يمودعليه واذا كانت جيدة فلماذا يخرجهما ؟

وقد ايد هذه الرواية (القفطى) فى كتابه تاريخ الحكماء بقوله :
(ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه
وامسك قلبه وحبج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية . الخ)
وهذا القول يدل على ان الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام
القارص . وفيما بلى ثبت رباعيتين لعمر الخيام فى الرد عليهم قال :

ای مفتی شهر از توپرکار تریم
با این همه مستی ذوق هشیار تریم
ما خون دزان خوریم و تو خون کسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

یا مفتی المدینة اذا احسن منك عملا ومع كثرة سكرنا فانا اصحى منك

اذا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فابنا شراب الدماء؟

شیخی بزب فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دیکری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه کرتی هستم
اما تو چنانچه منیائی هستی

قال شیخ معمم لفاحشة انت سكرى . وفي كل ساعة مربوطة بخايل
فقلت له الفاحشة يا شيخ ان الذى قلناه صحيح لكنك أنت انت كما
تظهر للاس؟

اعتقادهما بالجبر

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائماً به . فتعد نص ابو العلاء
المدرى فى مقدمة اللزوميات على انه لم يولف هذا الكتاب مخزناً وإنما
الفه بفضاء خفى لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر فى اللزوميات
مراراً كثيرة مثبتاً آياه ومناضلاً عنه فمن قرله فيه :

خرسجت الى ذى الدار عرماً ورحلتى الى غيرها بالرغم واقه شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد

* * *

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى ولا حياتى فهل لى بعد تخيير

* * *

جئنا على كره ونرحل رغماً ولعانا ما بين ذلك نجبر

* * *

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها ليس يمجبنى النقل

* * *

ولم نحلل بدنياً اختياراً ولكن جاء ذاك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً فى الجبر بصورة لا يتختمل الشك
ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر
ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان
يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب

(الثانية) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية
القائلون بالجبر ونفى الاختيار عن الممكن . ام القدرية الناسبون الى العبد
خلق افعاله (الثالثة) ان قرماً يقولون بان البقاء من صفات المعانى اى
انه صفة زائدة على ذات الباقي فى الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل
المنافسه معهم ؟

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حال فيه هذه الابحاث تحليلاً دقيقاً

وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله
عن اى الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبرى اقرب الى الحق فى
بإدبى الرأى وظاهر النظر من غير ان يتلجلج فى هذيانه ويتغلغل فى
خرقاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً .

اما رباعياته فقد دلت على اعتقاده بالجبر قال :

أورد باضطرام اول بوجود
جز حيرتج از جهان جيزى نفزود
رفتم باكره وندانم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة . ذهبنا
مكرهين . ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

برر كذرم هزار جاد ام نهى
كوئى كه بكيرت اكر كام نهى
يك ذره ز حكم توجهان خالى نيست
حكمم تركنى رعاصيم نام نهى

تضع الاشراك يا الهى فى الف مكان من سبيلى وتقول انك اذا
وطأنا فاننا نهلكك . لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك ، انت تحكم وتقدر
على وانت تسمينى بالماضى ؟

البعث بعد الموت

كان قديماً المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد في الدنيا، وكان فلاسفة اليونان الالهيون ولاسيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم كانوا يؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التي لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدسي عقلي وهناك تحي حياة اما شقية واما سعيدة لقاء ما اتته في الحياة من آثام او اعمال مبرورة اما ارباب الديانات فראهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل، والقرآن طافح بالايات التي يستدل بها المسلمون على البعث وللفسيرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة واراى عجيبه في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأى القائلين بحشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم قال :

زان بيش كه غمهاش شبيخون آرند
فرماي كه تا باده طسكون آرند
توزرنه اي غافل نادان كه ترا
درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان نهجم عليك غمومك على غرة مر لي أتوك بالخررة اللازوردية
ابها الغافل الجاهل انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك
مرة أخرى .

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتبا
از روى حقيقي نه از روى مجاز
باز بجه لذان بديم بر نطم وجود
رفتم . بصندوق عدم يك يك باز

نحن الأعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير
مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً
اثر واحد .

فقوله « انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة
أخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد ، دليل على انه
لم يكن معتقداً بالحشر كما يعتقد به الملحون .

اما ابو العلاء المعري فقد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً
فكان تارة مؤمناً به وتارة منكرأ له فمن قوله الذي أثبت فيه البعث :
واني لا رجو منه يوم تجاوز
فيأمرني ذات اليمين الى اليسرى
اذا را لب نالت به الشأ وفاقه
فما أبقى الا الظوالم والحسرى
وارأذف بعد الموت مما يريني
فما حظي الا دنى والايدي الحسرى
ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحاً :

ضحكنا وكان الضحك مناسفاة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تخطنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك
وقوله :

اما الجسوم فللتراب ماها وعيت بالارواح انى تسلك
على انى ارتأى انه كان منكرآ للبعث غير معتقد بمحشر الاجسام
وخلود الارواح ، واما الايات التى نظمها فى اثبات البعث فقد نظمها
تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليه .

أخذها بالتقية

وكان ابو العلاء المعرى يرى التقية ومداراة الناس وبحتاط فى اظهار
ارائه ويعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد وفى لزومياته
شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى فى الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم
وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فافصاح وايجاز
وقوله :

اهوى الحياة وحسبى من معايبها انى اعيش بتمويه وتدليس
ا كتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل او من رهط ابليس
فهذه الايات تدل على ان ابا العلاء كان سبي الظن بالناس كثير الحذر
منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع
الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكره الوزير جمال الدين ابي الحسن علي
بن القاضي الاشرف يوسف القفطى ، ما نصه : ولما قدح اهل زمانه
في دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك عن عنان
لسانه وقلبه وحجج متاقاة لا تقيه وابدى اسراراً من السرار غير نقيه ، .
وما يؤيد قول القفطى المصراحة البارزة في بعض ربايعياته التي يصح
الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء ما يكمنه ضميره خوف
البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك راز نتوانم كفت كوته سختم دراز نتوانم كفت
حالى درام كه شرح نتوانم داد رازى دارم كه باز نتوانم كفت
لا استطيع ان ابوح بسرى لسكل طيب وخبث انا قصير الكلام
لا استطيع ان اطيله لى حال لا استطيع ان اشرحها وسر لا استطيع
ان اقله .

ولا سيما ان عصر الخيام كان طافحاً بجماعات من المتصوفة
العمى الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين
اعمى التعصب الممقرت افئدتهم واطفاً سراج عقولهم فكان من حقه
ان يتكتم وان لا يبوح بأرائه اقتداءً بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء
الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم
كما يرغبون .

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التي انزلت بزملاتهم وانساباتهم

في الرأي من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما
تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً بالياً .

والنطع الذي اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التي
الهببت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذي صلب
عليه الصوفي الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذي بتر عنق
الفيلسوف السهروردي وغيرهم من الفطاحل الا فذاذ الى غير ذلك من
الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبراً ودروساً .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية
فقد زعموا ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيه
وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة . وقد دمغهم
الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ثم
كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام وذلك منذ اواخر القرن
الاول ، وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبيدالله بن
سبا (١) الذي قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) اي انت الاله فنفاه
الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهى في الأئمة بعد علي . ومثل هؤلاء
اصحاب ابي كامل (٢) الذي كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية

راجع ١٢٢ و ١٢٢٢ من كتاب الملل والنحل .

شخص الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص
يكون امامة و ربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح
وقت الموت . والغلاة على اعمانهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد
كان التناسخ مقالة لفرقة في كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند
البرهمية ومن الفلاسفة والصائفة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان
ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول
وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس في كوة او كاشراقها على البلور
واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بجوان
ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسح والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت
ومن اولئك الشاعر السيد الحميرى الذى اعماه التعصب فاخرجه عن
طريق الصواب وليس بين المطلعين على الاداب العربية من ينكر ما كان
من ترهات الحميرى وسخافاتة .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكى في تاريخ الالفى على
حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر
الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة
في حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الاجر الى
المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً
وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتكلم
من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية :

ای رفته و باز آمده بل هم کشته
نامت ز میان نا مها کم کشته
ناخن همه جمع آمده و سم کشته
ریش از بس کون در آمده دم کشته

یا ایها الذی ذهب وعاد مرة أخرى وصار كالانعام قد ضاع اسمك
بين الاسماء لقد اجتمعت اضافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في
عجزك فصارت ذبيلاً .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فاجابهم ان الروح
التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك
لم يرغب الحمار في الدخول اليها غير انه لما شاهد اصحابه الاقدمين
رضى بالدخول .

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلاً ان
يعتقد بانها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الاحاديث التي
يخالفها العوام لان هذا الرجل الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته
الجليلة ومكاتبه العالية بين ملوك عصره - على رجاحة عقله وسعة علمه
لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأي المبتذل المأفون
هذا من جهة ومن جهة أخرى ان ربايعياته التي اشهر بها والتي اردتها
آراؤه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكره البعث
والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض . لذلك يغاب على الفطن براية هذا
الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعري عن ذم هذا الرأي وهزى به وشنعه في رسالة الغفران وفي لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهـذبـه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضـلـة اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

تساؤلهما

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وارايهما في الـكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس اشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شئ في الـكون خبيث ردي وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان الامـ الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وافراحها .

والتشاؤم (مرض روى) ابتلى به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوى الامزجة المصيبة وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة ارجاعهم وهذا المرض يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبومة القليلة الارزاق الفقيرة التي ما فيها عمل ولا كسب وكثيراً ما يحصل من الورثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحلة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت

الحاجة زال التشؤم سريعاً

اما عند الحكماء المفكرين فاره عظيم شأنه كبير فانه يتولد في نفوسهم من سلسلة المفكرات العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وامور مبهمه لم يتوصل العقل البشرى الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود ومتناه او غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز التي ما تأمل فيها احد الا رجعت تأملاته على اعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لا اختياراً والشك الذي هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد (التشؤم) وبورث الالم واليأس . وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليقة والابجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولا ريب بهزات عنيفة في وجدانه وصددمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريسة واحلام محزنة والانسان مفضول على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكثير وافة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشؤم الذي لا مندوحة عنه مادام موقفاً بها .

وقد اعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء اوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما اوجده . وان هناك

حشراً ونشراً وحساباً وعتاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض
فيها حور عين وباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون
اعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها الوان من العذاب
اعدت للمجرمين الاثمين .

فهذا الامل الرائع بمنح المعتقدين راحة وسلاماً واماناً في الحياة
فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعري الذي تدل كلماته واقواله على انه كان عنادياً
بجسماً مرتاباً في وجود خالق صانع مدبر ، حائراً في سبب الخليفة والايجاد
والفناء ، شاكاً في العقائد التي من ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب
ان يكون بطبيعة الحال (متشاكماً) وهذا هو الواقع . وانك لتجد عند قراءة
(لزومياته) صيحاته الالهية وصرخاته الحزينة ، كأنك تكاد تلس بأسه
وقنوطه في شعره من اسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتياجه العظيم .

وهذه الاراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصاب والنسكبات
التي المت به بفقدان بصره وموت ابيه وامه وفقره ووهنه هي التي اشعلت
في قلب الشيخ جذوة اليأس والالتم فراح يكييل للاديان السباب وللانبياء
الاشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلات خراطيم من نار غضبه
على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلاً عن الناس ، قابلاً في كسر داره تتقاذفه
أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك
برهان اقوى على مقتته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره :

هذا جناه ابي عـلى وما جنيت على احد

وقوله:

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسال عن الخبر النبيث
لفقدى ناظري ولزوم يتي وكرن النفس في الجسد الخبيث

وقوله:

تعب كلها الحياة فماء جب الامن راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقتته الناس:

مسخ الماعشر فالغضنفر ثعلب في اومه والناس كالسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقدرات أشخوص حزن أم شخوص أناس
عرب وعجم دائلون وكنا في الظلم اهل تعابه وجناس

وقوله:

والشر طبع وقد بثت غريزته مقسومة بين انواع واجناس

سجايا ظاهرا غدر وخبث توارثها أناس عن أناس
وقد نزاحت هذه الافكار في رأس عمر الخيام كما نزاحت في رأس
صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على
احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها انه تخمى الله
لولم يكن مخلوقا في الدنيا .

كبر آميد نم بمن بدى نامدى

ورنيز شدن بمن بدى كى شدى

به زآن نبدي كه اندرين عالم خاك
نه اهدى نه شدمى نه بدمى

لو كان مجيئى باختيارى لما جئت ولو كانت خلقتى بيدي لما رغبت
ان اخاق . الافضل انى لم أكن فى هذا العالم ولم أجيء اليه ولم اخاق ولم
ابق فيه .

لقد علمنا بما تقدم ذكره ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب
وبلاء فقد اتفقا واتفقا على تشخيص الداء . الا انهما اختلفا فى الدواء :

الخنزرة - المنية

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة
السلافة وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف
الخيام الخنزرة بما وصف به ابو العلاء الموت . وفي طاقتنا ان نقول ان نفس
المعاني التي ذكرها المعري فى الموت جعلها الخيام فى الخنزرة فقد ذهب فى
المقالة بمدحها والاسراف فى حبها والولوع بها وحث الناس على شربها
ما جعل بعض الباحثين ان يسيثوا به الظنون ويعتبروا اقواله ضرباً
من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام فى الخنزرة . وذهب الـ
الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً
للاوجاع وتخفيفاً للآلام والالام وما ينسب الى الحكيم الفارابى
فى هذا المعنى قوله :

بزجاجتین قطعت عمری وعلها عولت امری
فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذی أدون حکمی وبذی أزیل هموم صدری

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخذها
دواءً كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى السلافة هي الوسيلة
الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك
قوله:

مي خوردن من نه از برای طرب است
ني بهر فساد و ترك دين و ادب است
خواهم كه ببيخوری بر آرم نفسي
مي خوردن و مست بودم زين سبب است

ليس شرب الخمر من اجل الطرب والفساد وترك الدين والآدب .
انما ارید ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمره وسكری
لهذا السبب .

از آمدن بهار واز رفتن دی
اوراق وجود ماہمی کردد طی
می خورد مخور اندره که گفتست حکیم
غمهای جهان جوز هرو تریاکش می

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا
تتألم فقد قال الحكميم ان الام الحية سم ودر ياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته
هي (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقية) او (السكر المقدس) وهي
الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض
وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير
صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشة
الحمرات بذات السكر والابادة الا لم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان
تقدم ذكرهما كافتان في دحض هذا الزعم.

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن
دارس الخمرة ومارس شربها دهرأ طويلا فهو في وصفه الرائع اشبه بابي
نؤاس في وصفه لها حتى لقد سن للسكرارى قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

كرباده خورى توبا خرد مندان خور
يابا صنمى لاله رضى خندان خور
بسيار مخور ورد . مكن فاش مساز
اندك خور وكه كاه خور وبنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء او مع مليح ضحوك ذى
عيا منير ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام اشرب قليلا و بين
آونة واخرى وفي الخفاء :

اما شيخ المعرة فتمد خالف صاحبه في هذا المعنى واكثر من ذم
الخمره وقيحها وندد بشاربها و زعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار
مفرقة الاحباب وقد اجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله .
وحاذر من الصهباء فهي عدوة من الصهباء شئت في مفاصلك السكر
وقوله :

البابلية باب كل بلية فتوقن هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره واذى النديم وفرقة الاحباب
أم الحباب وان أميت لهيها بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت ممن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا على لبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادى الالباب
وقوله :

ديب نمال من عقار تخالها بحسبك شر من ديب العقارب
ولو انها ظلماء طلق لا وجبت قلاها اصيلات والنهي والتجارب

تجرع موت لا تجرع لذة من الخمر في كاساتهم والابارق

قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يربان الحياة خطباً وشرأ يجب
التعاض منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيها منها هي (الخمره)
واما المعري فتمد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان
يتخالب للفرج على يد المنية وقد ثمنها في كثير من شعره فمن قوله :

فليت شعري عن موتي اذا قدما
مثل الوليد يقود المصعب السدما
اذا دنا لخبوعاد فاحتدما
بايعته واهان الله من ندما

اما حياتي فالي عندها فرج
صحبت عيشاً اعانيه ويغلبني
وقد مللت زمـ انا شره لـب
من باعني بجيـ اتي ميتة سرحا

وقوله :

* * *

دنيا فاني قد اطلت المقام
في النحس مذ كان جري واستقام
ولا عدوى يتخشى انتقام
والموت يأتي بشفاء السقام
وما رأينا احداً منه قام

رب متى ارحل عن هذه الـ
لم ادر ما نجمي ولا كنهه
فلا صديقي يترجي يدي
والعيش سقم للفتى منصب
والترب مشواي ومشواهم

وقوله :

* * *

وذقت فنين من بؤس ومن رغد
في ذلك خلق وامسى لا يصير غدى

مللت عيشي فعوجي يا منية بي
غدى سيوجد امسى لا ينازعني

مصير الجسم بعد الموت

رقد اختلاف الحكيمان ايضاً في قضية مصير الجسم بعد موته فكان
ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه
ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :
خفف الرطاً ما اظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت في الهراء رويداً لا اختيالاً هلى رفات العباد

ومن قوله في عدم تكريمه :

تكرم اوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء
وقد غالى المعرى في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات

الهنود حرق اموتهم .

فأعجب انحريق اهل الهند ميتهم وذلك اريج من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشوه من ضبع تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتا فبأواذهب للكرام والريح
وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا لمعنى فكان مبالغا في تكريم
الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله اللطين قائلاً انها اجسام بشرية
يجب ان تعامل بالحسنى .

ای کوزه کران نکوش اگر هشیاری
تا جند کنی بر گل آدم خواری
انگشت فریدون و کف کینسرو
بر جرخ نهاده جه می بنمداری

أها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين : حتى م تظلمون طينة ابن
آدم . انكم قد وضعتم اصبع فریدون و كف كینسرو على الدولاب
فاذا تظنون ؟ .

دی کوزه کری بدیدم اندر بازار
بر باره گلی لکد می زد بسیار

وآن كل بريان حال باوى ميکفت
من همجو تو بوده ام مرانیکو دار

رأيت امس خزاقا في السوق وكان يركل قطعة من الطين وكان
لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملى بالحسنى.
وقد عاش الشيخين حزين ولم يتزوجا وكان رأى المعرى فى المرأة
سيئاً وكان يكره الفسل ويرى الزواج اثماً وجرماً عظيماً فلم يشأ ان
يجنى على غيره كما جنى ابوه وفى ذلك يقول :
وارحت اولادى فهم فى نعمة الله دم التى فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة ترمي بهم فى موبقات الآجل

* * *

قالبت وحيداً لا وصي — بقة فى ذراك ولا وصيف
ومع ان الخيام عاش بلا رب اعزب فلم نطلم على رأيه فى الزواج والمرأة
والفسل ...

القلم اسم الثاني

رباعية

www.alkottob.com



— ۱ —

قومی متفکرند در مذهب و دین
جمعی متحیرند در شک و یقین
ناگاه منادی در آید ز کین
کای بیخبران راه نه آنست و نه این

قوم يتفكرون في المذهب والدين ، وآخرون محارون بين الملوك واليتيم
واذا بناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

- ۲ -

ای مفتی شهر از تو پُرکار تریم
با این همه مستی ز تو هُشیار تریم
ماخون رزان خوریم و تو خون گسان
انصاف بده کُدام حو نخواست تریم؟

نحن يامفتي المدينة اصلح منك عملا، ومع كل هذا
السكر اصحى منك، انا نشرب دم العنب، وانت تشرب دم
الناس فانصف! اينا اشد سفكا للدماء؟

- ۳ -

شیخی بزنی فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دگری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه گویی هستم
اما تو چنانچه منیائی هستی؟

قال شيخ لفاحشة انت سكري وفي كل لحظة متعلقة
بشخص فقالت ايها الشيخ! ان الذي قلته صحيح لكنك
ءانت انت كما تظهر للناس؟ .

- ۱۸۷ -

آنانکه به حکار عقل در میکوشند
هیئات که جمله گاو نو میدوشند
آن به که لباس ابلهی درپوشند
کامروز به عقل تره می نفروشند

اولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل ، هيئات أنهم
يحبون ثوراً ، الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة ، اذ
لا يشتري اليوم بالعقل باقة من حشيش .

ایکاش که جای آر میدن بودی
یا این ره دور را رسیدن بودی
کاش از پی صد هزار سال از دل خالک
چون سبزه امید برد میدن بودی

ياحبذا لو كان للراحة محل ، وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق
الطويل ، وياحبذا لو كان هناك امل في العودة الى الحياة بعد
مآت الألف من السنين ، كما يعود العشب من قلب التراب :

—۶—

دل مر حیات اگر کما می دانست
در مرگ هم اسرار آلهی دانست
امروز که با خودی ندانستی هیچ
فردا که ز خود روی چه خواهی دانست؟

لو عرف القلب سر الحیاة کما هی ، لعرف ایضاً فی الموت
الاسرار الالهیة ، انت لاتعلم شیئاً الیوم وانت مع
نفسک ، فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها؟

—۷—

قومی متنفر کردند در مذهب و دین
جمعی متعجبند در شک و یقین
ناگاه منادی در آید ز کین
کای بیخبران راه نه آنست و نه این

قوم یتفکرون فی المذهب والدين ، وأخرون محتارون
بین التک والیقین ، واذا بعناد یهتف بهم من عالم الغیب ،
ایها الغافلون ، الطريق لاهذا ولاذک .

—۱۸۹—

—۸—

چون مردن تو مردن یکبارگی است
یکبار عمیر این چه بیچارگی است
خونی و نجاستی و مشتی رک و پوست
انگار نبود این چه غمخوارگی است

لما كان موتك مرة واحدة ، مت مرة واحدة اما هذه
المسكنة ؟ دمٌ و نجاسة و صم من عظم و جلد ، فاهذه المحنة
من اجل شيء تافه حقير .

—۹—

گر برفلکم دست بدی چون یزدان
بردا شتی من این فلکرا زمیان
از نو فلک دگر چنان ساختمی
کاآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك ، هيمنة خالق ، تقضيت على
هذا الفلك ، و خلقت فلکا غيره ، على ان يبلغ المرء فيه
مرامه بدون عناء .

— ۱۹۰ —

— ۱۰ —

آورد باض-طرارم اول بوجود
جز حیرتم از جهان چیزی نفزود
رفتیم باکراه رندانیم چه بود
زین آمدن و ماندن و رفتن مقصود

جاء بی علی الرغم منی الی الوجود، ولم ازدد غیر الحیرة
فی هذه الحیة، ذهباً مکرهین، ولم نعلم الغرض من مجیئنا
وبقائنا وذهابنا.

— ۱۱ —

یزدان جو گل وجو دما می آراست
دانست ز فعل ماچه بر خواهد خواست
بی حکم نیست هر گناهی که مراست
پس سوختن قیامت از بهر چه خواست؟

لما کون الله وجودنا من الطین، کان یدلم بالافعال الی
ستصدر منا، لیس خارجاً من حکم کل ذنب تقترفه،
إذا فلماذا یصلینا فی السعیر یوم القیامة؟

— ۱۹۱ —

- ۱۲ -

در رهگذرم هزار جا دام نهی
گویی که بگیرمت اگر کام نهی
يك ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم تو کنی وعاصیم نام نهی ؟

تضع الاشرک فی الف مکان فی سبیلی ، و تقول اذا
وقعت فیها ظانی مبيدک ، لا تخلو ذرة فی العالم من
سلطانک ، انت تقدر علیّ الحکم وانت تمنعنی بالعاصی ؟ .

- ۱۳ -

از آب و گلم سرشته من چه کنم
وین پشم مرا تورشته من چه کنم
هر نیک و بدی که از من آید بوجود
تو بر سر من نوشته من چه کنم ؟

ماذا اصنع يا الهی و انت اللذی جبلتني من مائه و طين ،
و انت اللذی غزلت صوفتي ، انت كتبت علیّ كل ما يصدر
منی من خیر و شر فی هذا الوجود ، فماذا اصنع ؟

- ۱۴ -

عمرت تا کی بخود پرستی گذرد؟
یا در پی نیستی وهستی گذرد؟
می‌بوش که عمری که اجل در پی اوست
آن به که بخواب یا بمستی گذرد

حتى مَ يَمُرَّ عَمْرُكَ فِي عِبَادَةِ نَفْسِكَ ، او فِي الْاِفْتِكَارِ
فِي الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ ، اشْرَبِ الْحَمْرَ فَانَ الْعَمْرَ الَّذِي يَمَقُّهُ
الْمَوْتُ يَحْسُنُ اِنْ يَنْقُضِي فِي النَّوْمِ او السُّكْرِ .

تازهره و مه در آسمان گشت پدید
بهتر ز می ناب کسی هیچ ندید
من در عجبم ز می فروشان کایشان
به زانچه فروشند چه خواهند خرید

متذّظهرت الزهرة والقمر في السماء ، ما رأى احد
احسن من الحمرة الصافية ، يا عجبى من بائعى الحمراى شيء
سيشترى احسن مما يبيعون !

گر من ز می مغانه مستم ، مستم ؛
گر کافر و گبر و بتپرستم هستم
هر طایفه بمن گمانی دارند ؛
من زان خودم ، جنانکه هستم ، هستم

انا ان كنت ثملاً بحمرة المحوس فانا ذاك ، وان كنت
كافراً او مجوسياً او ودياً فانا ذاك ، لکن منائفه ظن في ،
اما انا فملك نفسي اكون كما ارید

این قافله عمر عجب میگذرد
در یاب دمی که باطرب میگذرد
ساقی غم فردای قیامت چه حوری ؟
پیش آر پیاله که شب میگذرد

تسیر قافله العر سیراً عجیباً ، فاشتم وقتاً تطرب فيه ،
ایها الساقی ! مالک مهموماً من القيامة في غد ؟ هات الزجاجة
فان الليل على وشك الفناء .

روزی که گذشته است ازویاد مکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنا مده و گذشته فریاد منه
حالی خوش باش و عمر برباد مکن

لا تذکر الیوم الذی مضی ، ولا تحزع من غدٍ لم یأت
بعده ، ولا تفزع مما لم یأت ومما مضی ، طب نفساً
ولا تنغص عیشک .

مائیم دراو فتاده چون مرغ بدام
دلخسته روزگار و آشفته مدام
سرکشته درین دایره بی در وبام
نا آمده بر مراد و نارفته به کام

وقعنا فی هذه الحیاة وقوع الطیر فی الفخ ، مفؤدین
من الدهر ، طائشین علی الدوام . تأهین فی هذه الدائرة التي
لا سطح لها ولا باب ، لاجئنا باختیارنا ولا ذهبنا بإرادتنا .

— ۲۰ —

تاهُشیارم طرب زمن پنهانست
چون مست شوم در خردم نقصانست
حالیست میان مستی و هشیاری
من شادم از آن که زندگانی آنست

مادمتُ صاحباً فالطرب خاف عنی ، واذا ثملت
نقص عقلي ، أما بین الصحو والسكر ، حالة هی وحدها
لذة الحياة .

— ۲۱ —

گویند بمن بهشت باحور خوشست
من میگویم که آب انگور خوشست
این نقد بگیر و دست از آن نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن از دور خوشست

يقولون لی الجنة طيبة بالحور وانا اقول ماء
العنب - الحمر - هو الطيب ، خذ هذا النقد وذر ذلك
الوعد ، فان صوت الطبل من البعيد حسن .

— ۱۹۶ —

— ۲۲ —

گر باده بکوه در دهی رقص کند
ناقص بود آنکه باده را نقص کند
از باده مرا توبه چه میفرمایی ؟
روحیست که او تربیت شخص کند

انسقیبت الجبل خمرأ رقص الجبل ، ناقص من ينتقص
من قدرها - يذمها - اطلب الي ان اتوب من شرب
الخمرة ، وهي تلك الروح التي تربى الانسان .

— ۲۳ —

می نوش که عمر جاودانی اینست
خود خاصیت دور جهانی اینست
هنگام گل و مل است و یاران سرمست
خوش باش دمی که زندگانی اینست

اشرب الخمره لانها الحياة الدائمة ، وهي وحدها مزينة
الدنيا ، الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاء سكارى ،
اسعد لحظة ! هذه هي الحياة .

— ۱۹۷ —

— ۲۴ —

زان پيش که غمهاش شبیخون آرند
فرمای که تا باده گدگون آرند
توزر نه ای غافل نادان که ترا
در خاک نهند و بار بیرون آرند

قبل ان تهلكك همومك ، مرهم ان يأتوك بمدامة
وردية . ايها الجاهل الغر ! انت لست ذهما ليدفنوك
في التراب ثم يخرجوك .

— ۲۵ —

من بنده عاصم رضای تو کجاست
تاریک دلم نور و صفای تو کجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشی
آن بیع بود لطف و عطای تو کجاست

اما عبدك العاصي ، فاين رضاؤك ، انا المظلم قلبه فاين
نورك و صفاءك ، ان كنت تهينا الجنة بالطاعة لك
كان ذلك بيعاً ، فاين لطفك و عطاؤك ؟

— ۱۹۸ —

این چرخ جو طاسیست نکون افتاده
دروی همه زیر کان زبون افتاده
بر دوستیء شیشه وساغر نگرید
لب بر لب و در میانه خون افتاده

ان هذه السماء كطاس مقلوبة وفيها كل الاذكياء
إذلاء . انظروا الى الصداقة بين الابريق والكأس ،
الغفاه فوق الغفاه وبينهما الدم .

تا چند اسیر رنگ و بو خواهی شد
چند از پی هر زشت و نکو خواهی شد
گر چشمه زمزمی و گر آب حیات
آخر بدل خاک فرو خواهی شد

الى كم انت تصبو الى اللون والرائحة، وتركض وراء
كل طيب وخبث ، ستغور في باطن الارض ، حتى
لو كنت ماء زمزم او ماء الحياة .

چون میگردد عمر چه شیرین و چه تلخ
پیمانه چو پر شود چه بغداد چه بلخ
می نوش که بعد از من و تو ماه بسی
از سلخ بغره آید از غره بسلخ

مادام العمر ینقضی ، فسیان عندی حلوه و مرّه ، و اذا
امتلات الكأس « مت » فسیان عندی امت فی بغداد ام
فی بلخ ، احس یاصاح کئوس الحمیا ، فان القمر سینتقل من
بعدی و بعدك من السلخ الی الغرّة و من الغرّة الی السلخ کثیراً

دشمن بغلط گفت که من فلسفیم
ایزد داند که آنیسه او گفت نیم
لیکن چو در این فم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

اخطأ المدوّ بقوله انی فلسفی ، وقد علم الله انی
لس . کما قال ، ولکنی اذ وجدت نفسي فی دار النعم .
« الدنيا » فلا اقلّ ان اعرف من انا ؟



جز راه قلندران میخانه پیوی ،
جز باده و جز سماع و جز یار مجوی ،
بر کف قدح باده و بر دوش سبوی ؛
می نوش کن ای نگار و بیهوده مکوی .
لا تسلك غیر سبیل قاندریة الحانة ، ولا تطلب غیر
الخمرة والسماع والحبيب ، ضع التذح علی کفک والذن
علی متنک واشرب ایها الجمیل ولا تقل هجرا .

سیم ارچه نه مایه خرد مندانت ،
بی سیمان دا باغ جهان زندانت ؛
از دست تھی نفشه سر بر زانوست ؛
در کیسه در دهان گل خندانست .

ولو ان الغضة لا تكون ذخيرة العقلاء ، لكن روض
الحياة سحر المفاسين ها هي البنفسحة نكست رأسها
خلو .. وفيها ، وها هي الورود باسمه الغر في كسبها الذهبي

در چشم محققان چه زیبا وجه زشت ،
منزلگه عاشقان چه دوزخ چه بهشت ؛
پوشیدن بیدلان چه اطلس چه پلاس ،
زیر سر عاشقان چه بالین وجه خشت ،

سواء في نظر المحققين — العقلاء — الجميل والتبيح
وسواء في نظر العاشقين مشوى الجنة والنار ، وسواء لدى
الميلوب قلبه ، الحرير والمنسوج الخشن ، وسواء لدى
العاشقين توسد الريش والحجارة .

دنیا نه مقام تست نه جای نشست ،
فر زانه در او خراب او لیترومست ؛
بر آتش غم زباده آبی میزن ،
ز آن پیشس که در خاک روی باد بدست .

لیست الدنيا بدار قرار و دار اقامة ، افضل للحکیم
فيها ان يكون ثملاً ومصروعاً ، اسكب ماء الحمرة على نار
الغمووم ، قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

دنیا بمراد رانده گیر آخر چه ؟
وین نامه عمر خوانده گیر آخر چه ؟
گیرم که بکام دل بماندی صد سال ،
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه ؟

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا
قرأ الانسان كتاب اعماله ؟ فلنفرض انك نلت مرامك
مائة عام ، وعش بعدها مائة عام فما هي النتيجة ؟ !

از تن چو رفت جان پاک من و تو ،
خشتی دونه‌ند بر مغاک من و تو ؛
و آنکه ز برای خشت گور دگران ،
در کالبدی کشند خاک پاک من و تو .

حين تخرج من الجسد روحی وروحك الطاهرة
يضعون لبنين على لحدی، ولحدك، ثم لاجل لبنين لقبر
آخر يضعون ترابی و ترابك في القالب

دریاب ! که از روح جدا خواهی شد ،
در پر ده اسرار فنا خواهی شد ؛
می نوش ! ندانی ز کجا آمده ،
خوش باش ! ندانی بکجا خواهی شد .

انقبه — اعلم — ! انك ستفترق عن روحك وستفنى
وراء ستار الاسرار ، اشرب الحمره ! انك لا تدري من
این آیت ، واسعد ! انك لا تعلم الى اين تذهب .

سیر آدمم ای خدای از هستی خویش ،
از تنک دلی واز تهی دستی خویش ؛
از نیست چو هست میکنی بیرون آر ،
زین نیستیم بجز محرمت هستی خویش .

مللت یا الاهی وجودی وضیق صدری و فراغ
یدی ، یا من یجعل من العدم وجوداً اخرجنی من عدی
بجزمة وجودك .

خیام که خیمه های حکمت میدراند ،
در کوره غم فتاد و ناگاه بسوخت ؛
مقراض اجل طناب عمرش ببرید ،
دلال امل برایش کاش بفروخت .

رفع الخيام الذي كان ينحيط خيم الحكمة في كور الغم
واحترق ، وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره ،
وباعه دلال الأمل رخيصاً .

گر باده خوری تو با خرد مندان خور ،
یا با صنمی لاله رخ و خندان خور ؛
بسیار مخور ، فاش مکن ، ورد مساز ،
اندک خور ، و گه گناه خور ، و پنهان خور .

ان تشرّب الحمرة . فاشربها مع العقلاء او مع جمیلة باسمة
موردة الخدين ، لا تشرّب كثيراً ، لا تنفسي شربك لاحد ،
لا تلهج بها ، اشرب قليلا ، وبين آوثة و اخرى ، وفي
الخطأ - سرأ - .

گرمی نوشد گدا به میری برسد ،
ورز بهکی خورد به شیری برسد ،
ورز پیر خورد جوانی از سر گیرد ،
ورز آنکه جوان خورد به پیری برسد .

اذا شرب الفقير الحمرة رأى الأمانة في نفسه ، واذا
شربها الثعلب رأى السبعية في نفسه ، واذا شربها الشيخ
جدد لنفسه عهد الشباب ، واذا شربها الفتى رأى عهد
الشيخوخة — طال عمره — .

— ۴۱ —

سر دفتر عالم معانی عشق است ،
سر بیت فیهبده جوانی عشق است ؛
ای آنکه خبر نداری از عالم عشق ،
این نکته بدان که زندگانی عشق است .

العشق عنوان عالم المعانی ، ومطلع قصیدة الشباب
فاعلم ابها الزافل عن عالم العشق هذه النکنة ، ان الحماة
هي العشق

— ۴۲ —

يك نان به دور روز گر شود حاصل مرد ،
وز کرده اشکسته دن آبی سرد ،
مأمور کسی دگر چرا باید بود ؟
یا خدمت چون خودی چرا باید کرد ؟

اذا وجد المرء رغيماً في يوميه او وجد في بعض
الاحيان في كوز مكسور جرعة ماء بارد ، فلماذا يكون
تحت امرة غيره ، او في خدمة من يضاويه ؟

— ۲۰۷ —

ابریق می مرا شکستی ربی !
برمن در عیش راببستی ربی ،
بر خاك فیکندی می گلگون مرا ،
خاکم بدهن مکر تومستی ربی ؟

یا الهی حطمت ابریق مدامی ، واوصدت باب
الأنس فی وجهی ، سکبت علی الارض خمرتی الوردیة ،
تراب بفعی هل انت سکران یاربی ؟ !

نا کرده گداه در جهان کبست بگو !
وانکس که گنه نکر دچون زیست بگو !
من بد کنم و توبد مکافات دهی ؟
پس فرق میان من و توجیست بگو !

یا الهی قل من الذی لم یأثم فی الدنیا ، وکیف
یلبث فیها من لا یأثم فاذا کنت تقابلنی علی سیئنی بسیدئة
مثلها اذا فما الفرق بینی و بینک ؟ !

نازم به خرابات که اهلس اهلست ،
چون نيك نظر کنی بدش هم سهلست ؛
از مدرسه بر نخاست يك اهل دلی ،
ویران شود این خرابه دار الجهلست .

اتباهی بجانان الخمر فان اهلها اکفاء واذا انعمت
النظر فی طالحهم وجدته لا بأس به ، لم ينبغ احد من المدرسة
من ذوی القلوب النبیره لتهدم هذه الخرابة فانها دار الجهل

خیام تفت بخیمهء ماند راست ،
جان سلطانیکه منزلش دار بقاست ؛
فراش ازل زبهر دیگر منزل
نه حیمه بیفکنند چو سلطان برخاست .

ای خیام ! ان جسدك یمائل الخیمة حقاً
والروح التي منزلها دار البقاء تشبه السلطان . فاذا
ارتحل السلطان الا يقوض الخیمة فراش الازل .

می خور که مدام راحت روح تو اوست ،
آسایش آن و دل محروح تر اوست ؛
طوفان غم از در آمدن پیش و پست
در باده کریز ، کشنی نوح تو اوست .

اشرب الصهباء فإنها راحة روحك وامان لنفسك
وقلبك المجروحين ، وإنا دأهمك طوفان الغم من وراءك
وامامك فالجأ ولد بالخرقة فإبنا سفينة النجاة .

حورشید کنند و بیج بر بام افکنند ؛
کیخسرو رور باده در جام افکنند ،
می خور که مادی سحرگه خیزان ؛
آوازه « اشربوا » در ایام افکنند .

ارسلت الشمس اشعرا التهبية على السطح وقد صب
ملك النهار صهبائه في الجام ، اشرب المدامة فقد نادى
مؤذن السحر ان « اشربوا »

یارب خردم در خور اثبات تو نیست ،
واندیشه من بجز مناجات تو نیست ؛
من ذات ترا بواجبی کی دانم ،
داننده ذات تو بجز ذات تو نیست .

ربی ! لیس اعقلی من السعة لا بباک ، انا لا اوتکر
الا فی مناجاتک انا لا اعرف ذاتک حق المعرفة
ولا يعرف ذاتک الا ذاتک .

بر مفرش خاک حفتگان می بینم ؛
در زیر زمین نهفتگان می بینم ؛
چندانکه به صحرای عدم می نگرم ،
ناآمدگان و رفتگان می بینم .

اری فوق وراش الارض انساناً غارفین می سبانهم
واری تحت اطلاق الثری انساناً مختلفین ، انا کلا النظر
الی بیداء العدم . اری انساناً لم یأنوا بعد ولم یذهبوا .

کس خلد و جحیم را ندیدست ای دل ؛
کوآن که از آن جهان رسیدست ای دل ؟
امید و هراس ما بچیز یست کز آن ،
خود نام و نشانی نه پدیدست ای دل .

یاقلب ! لم یر احد الخلد و الجحیم ، یاقلب این الدی
جاء من ذلك العالم ؟ ان رجائنا و خوفنا من شی لم نجد
اسمه ولا رسمه .

از آمدن و رفتن ما سودی کو ؟
وزنار امید عمر ما پودی کو ؟
در چنبر چرخ جان چندین یا کان .
میسوزد و خاک میشود ، دودی کو ؟

ای تقع من مجیئنا و ذهابنا ، لم نجد سدی لحة الأمل
من عمرنا . فی دائرة الفلك تشتمل ارواح الكثیرین
من الطیبین و تصیر رماداً فاین دحانها ؟

— ۵۳ —

گویند بهشت و حور و کوثر باشد ،
جوی می و شیر و شهد و شکر باشد ،
يك جام بده بیاد آن ای ساقی !
نقدی ز هزار نسیه بهتر باشد .

يقولون هناك - في الآخرة - جنة و حور و كوثر
وانهار من خمر و لبن و عسل مصفى ، ناولنى ايها الساقى كأساً
على ذكرها ! فان النقد الواحد افضل من الف نسيئة .

— ۵۴ —

برگیر ز خود حساب اگر باحبری ؛
کاول توجه آوردی و آخر چه بری ؛
گوئی تخورم باده که میباید مرد .
میباید مرد اگر خوری یا نخوری .

حاسب نفسك ان كئت واعياً ايبياً . ماذا جئت ه
وماذا ستأخذ معك ؟ تقول لا اشرب الخمر لاني سأموت .
يا هذا سوف تموت شربها او لم تشربها .

— ۲۱۲ —

این صورت کون جمله نقشت وخیال،
عارف نبود هرکه نداند این حال؛
بنشین قدحی باده بنوش، و خوش باش،
فارغ شو این نقش خیالات مجال،

ان صورة هذا الكون نقش وخیال . ليس عارفاً
من يجهل هذا الحال . اجلس واحس قدحاً من الحمرة
واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخیالات .

ماخرقة زهد برسر خم كردیم؟
وزخاك حرايات تيمم كردیم؛
شايد بدر ميكدھا دريا بيم،
آن عمرکه در مدرسه ها گم كردیم .

نحن وضعنا رداء الزهد على دين الخمر وتيممنا بتراب
المانات لعلنا نجد في ابوابها ذلك العمر الذي اضعناه
في المدارس .

من بی می ناب زیستن نتوانم ،
بی باده کشید بار تن نتوانم ؛
من بنیاد آن دهم که ساقی گوید ،
یک جام دگر بگیر و من نتوانم .

لا استطع الیش بدون خمره صافية ولا اقدر ان احمل
عبء حسدی بدونرا . انا عبد تلك الاحتیة التي يقول فیها
الساقی «خذ كأساً اخرى» وانا لا اقدر من شدة سكری .

پری دیدم بخانه خمارى ؛
کنتم نکنى رفتگان اخارى ؟
گفتا می حور که ما بسیارى
رفتند و کسی باز نیامد بارى .

رأيت شيخاً في دار خمار ، فقلت له الا تخبرني عن
الذاهبين . قال اشرب المدامة افان كثيرين من امثالنا
ذهبوا وما عاد منهم احد مرة .

— ۵۹ —

بر دار پیاله و سبوی دلو !
بر گرد بگرد سبزه زار و لب جو !
کین چرخ بسی قد بتان مهر و ؛
صد بار پیاله کرد و صد بار سبوی .

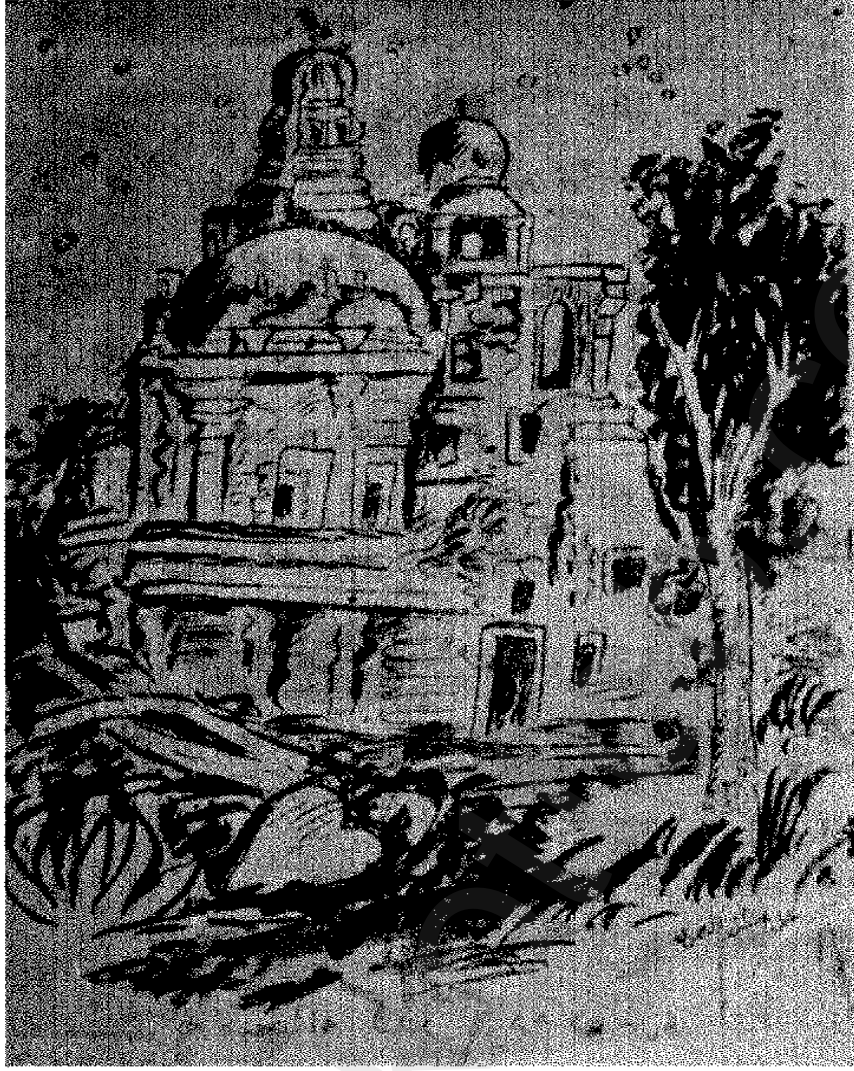
ایها الحیب ! خذ كأساً و ابریقاً و در حول الروض
الاخضر فی جانب المهر فان هذا الفلك قد جعل من قدود
الفائنات مائة مرة كأساً و مائة مرة اباریق .

— ۶۰ —

از گردش روزگار بهری بر گیر !
بر تخت طرب نشین بکف ساغر گیر !
از طاعت و معصیت خدا مستغنیست ،
باری تو مراد خود ز عالم بر گیر .

خذ نصیبك من توالی الايام و اجلس علی سریر الطرب
رخذ كأساً بیدك . ان الله غنی عن الطاعة و المعصية فخذ
علی الاقل لذتك من الحیاة .

— ۲۱۶ —



— ٦١ —

آن قصر که بر چرخ همی زد پهلوی؛
بر درگه او شهان نهادندی رو؛
دیدیم که بر کنکرهاش فاخته،
بنشسته همی گفت که کو کو کو؟

ان القصر الذی کان یتسامی مع الفلک کتفاً الی کتفِ والذی
کان الملوک یضوون علی اعتابه الجباد ، قد رأینا الفاختة
علی شرفاته تسجع قائلة « کو کو کو کو » ای « این این این » .

— ٢١٧ —

گر از پی شهوت و هوا خواهی رفت ؛
ار من خبرت که بی نوا خواهی رفت ؛
بنگر چه کسی و از کجا آمده ؟ !
میدان که چه میکنی ، کجا خواهی رفت !

اذا كنت تحرى وراء شهواتك وهواك ، فاني مخبرك
انك سندهب بأئسأ بأئسأ ، انظر من انت ومن اين
اتيت ! ؟ وماذا تعمل والى اين تذهب ؟

سرمست به میخانه گذر کردم دوش ،
پیری دیدم مست و سبوی بی بردوش ؛
گفتم : ز خدا شرم نداری ، ای پیر !
گفتا کرم از خداست ، می نوش و خموش !

مررت بالحنة ثملاً لیلة امس فرأیت شیخاً سکران
حاملاً دنّ خمر علی متنه فلت له ألا تستحی من الله یا شیخ !
فاجاب « الله کریم » فاشرب واسکت ! .

— ۶۴ —

هین ، صبح دمید و دامن شب شد چاک ؛
برخیز و صبوح کن ، چرای غمناک ،
می نوش دلا ، که صبح بسیار دمد
او روی به ما کرده و ما روی بخاک !

انظر ! لقد طلعت الصباح وتمزق جلباب الليل فقم با کر
صبوحك . مالك مغموماً ! اشرب الخمر يا قلبي ! فان الصبح
سيطلع كثيراً علينا وهو يولى وجهه نحونا ونحن نولى
وجوهنا نحو التراب .

— ۶۵ —

من می خورم و هر که چو من اهل بود ،
می خوردن او نزد خرد سهل بود ؛
می خوردن من حق زارل میدانست ،
کرمی نخورم علم خدا جهل بود

انا أشرب الخمره و يشربها كل من هو مثلي اهل لها . فان
شربه لها ليس بصعب في نظر العقل ، لأن الله كان يعلم منذ
الازل بانى سأشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا .

— ۶۶ —

— ۶۶ —

گویند که ماه روزه نزدیک رسید ،
من بعد بگرد باده نتوان گردید ؛
در آخر شہمان بخورم چندان می ،
کابد در رمضان مست بیفتم تا عید

یتولون قدا تی شهر رمضان ، ولیس لأحد بعد هذا
ان یحوم حول الامام ، اما انا فسا شرب منها فی آخر شعبان
ما ابقی به سکران طوال شهر رمضان حتی یوم العید .

— ۶۷ —

گر آمدنم بمن بدی نامدی ،
وزنیر شدت بمن بدی کی شدی ؛
به رآن ببدی که اندر این دیر خراب ،
به آمد می ، نه شد می ، نه بد می .

لو کان محیی باحمیاری لما جئت ، ولو کانت حلفتی
بیبای ما رغبت ان احاق ، الا فضل انی لم اکن فی هذا
الذیر الحرب ولم اجیء الیه ولم ابق فیہ .

— ۲۲۰ —

جامي ومي وساقى برب كشت ،
بهتر زبهشتى كه خبر بودش رشت ؛
مشنوسخن بهشت ودوزخ ازكس ،
كه رفته بدوزخ و كه آمد زبهشت .

كأس و خمره وساقى فى جنب روضة . خير من الجنة
التي وعدتها ، لا تسمعن من احد حديث الجنة والمار
من ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

مالعبتكايم و فلك لعبنبار ،
از روى حقيقتى نه از روى مجاز ؛
بازيجه كنان بديم بر نطم وجود ،
رفتيم بصندوق عدم يك يك بار

نحن ألعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا . ذاك
امر حقيقي غير مجازي ، لقد لعبنا مدة فى مساحة الوجود ثم
ذهبنا الى صندوق عدم واحداً بعد واحد .

— ٧٠ —

يك جام شراب صد دل ودين ار زد ،
يك جرعه مي مملكت چين ار زد ؛
جز باده ناب نيست در روي زمين ،
تلخي كه هزار بار شيرين ار زد .

ان كأساً من الخمر تعدل الف قلب ودين ، وان جرعة
من المشعشة تساوي مملكة الصين ، ليس على وجه الارض
غير الخمر الصافية وهي المرة التي تفضل الحلو الف مرة .

— ٧١ —

اي دل تو باسرار معمي نوسي ،
در نكته زيركان دانا نوسي ؛
اينجا بمي وجام بهشتي ميساز ،
كاينجا كه بهت است رسي يانوسي .

أبها القلب ! انت لاتصل الأسرار المعماة ، ولا تفقه
سكات الاذكياء ، اجعل لنفسك في هذه الدنيا جنة
من الخمر والكأس ، فانك لاتعلم أتناها في تلك ام لا ؟

— ٢٢٢ —

— ۷۲ —

روزی که دو مهلتست می خور می ناب!
کاین عمر دو روزه بر نگردد در یاب!
دانی که جهان رو بخرابی دارد.
تو نیز شب و روز همی باش خراب!

اشرب الحمرة الصافية مرتين كل يوم ، فان هذا العمر
الفصير لا يعود اليك مرة اخرى ، انت تعلم ان الكون
متوجه الى الخراب فكن انت ايضا خراباً لئلا ونهاراً .

— ۷۳ —

ای آنکه نتیجه چهار هفتی!
در هفت و چهار هام اندر تفتی؛
می خور که هزار بار پیش گفتی ،
بار آمدنت نیست چو رفتی رفتی .

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات . الى منى
انت تتألم بالفكر فيها ؟ اشرب الحمرة ! فقد قلت لك الف
مرة . مالك من أوبة فاذا ذهبت ذهبت

— ۲۲۲ —

اجرام که ساکنان این ایوانند ،
اسباب تردد حردمندانشد ؛
هان تاسر رسته خرد گم نکنی ،
کاتان که مسابرنند سرگردانند .

ان هذه الاجرام السماوية قد تركت العقلاء حيارى
مترددین ، فاحذر ! ان تضبیع رشذك ، فان المدبیرین هذا
العالم حيارى وفي تردد وذهول .

چون حال آدمی در این جای دو در ،
جز درد دل و دادن جان نیست دگر ؛
خرم دل آنکه يك نفس زنده بود ،
و آسوده کسیکه خود نژاد ار مادر

لما لم یکن محصول الأُسان من هذه الدنيا ذات
البابین غیر الم القلب وزهوق الروح ، فالسرور من عاش
لحظة ، والمرتاح هو الذي لم یولد من امه .

این کهنه سرا که عالم اورا نامست ،
وآرامگه ابلق صبح و شام است ؛
بزه‌یست که وامانده صد جمشید ست ،
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است .

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح
الوضاء والليل الداهس ، مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر
انكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

گفتی که ترا عذاب خوام فرمود ،
هرگز من ازین خبر هر اسم نفزود ؛
جایی که تویی عذاب نبود آنجا ،
وآنجا که تونیستی کجا خواهد بود ؟

تفضلت قائلاً : انى سوف اعذبك وانا لم اخش قط
هذا الطبر . المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب
واين المكان الذى انت لست فيه ؟

آن به که ز جام باده دل شاد کنی ،
وز نامده و کیدشته کم یاد کنی ؛
وین عازیتی روان زندانی را ،
یک لحظه ز بند عقل آزاد کنی .

الأحسن ان تسر قلبك بكأس المدامة وان لا تذکر
كثيراً ما كان وما يكون - الماضي والآتی - وان تطلق
ساعة مهجتك المستعمارة السجينة من قيد العقل .

تایار شراب جانفزایم ندهد ،
صد بوسه فلك بدست و پایم ندهد ؛
گویند که توبه کن که وقتش آمد ،
چون توبه کنم تا که خدایم ندهد .

ان الفلك لا يقبل یدیّ و قد میّ مائة مرة ما لم یستقنی
الحبيب صهباء مفرحة . یقولون لی تب من شربها فقد خلق
وقت التوبة ، و کیف اتوب اذا لم یشاء الله ان اتوب ؟ .

تاخاک مرا به قالب آمیخته اند ،
بس فتنه که زین خاک بر انگیزته اند ؛
من بهتر از این نمی توانم بودم ،
کزبوته مرا چنین برون ریخته اند .

کم من فتنه اتاروا فی دابنتی لما وضعوها فی القالب
فلا استطیع ان اكون خیراً مما انا علیه ، فانهم هكذا
افرغونی من الکور .

در دائره کآمدن ورفتن ماست ،
آنها نه بدایت نه نهایت پیدااست ؛
کس می نزند می درین عالم راست ،
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست .

لابدءة ولا نهائة للدائرة التي جئنا منها والتي نذهب
اليها . لا يستطيع احد ان يقول من اين هذا المجيء والى
اين هذا الذهاب

— ۸۲ —

تابتوانی رنجہ مگردان کسرا ،
بر آتش خشم خویش منشان کسرا ،
گر راح جاودان طمع میداری ؛
میرج همیشه و مرنجان کسرا .

لا تؤذ احداً ما استطعت ، ولا تجلبس احداً علی نار
غضبک ، و اذا کنت تطمع فی راحة دأمة ، فاقبل اذی
نفسک ولا تؤذ احداً .

— ۸۳ —

نیکر و بدی که در نهاد بشرست ،
شادی و غمی که در قضا و قدرست ،
با چرخ مکن حواله کاندر ره عقل ؛
چرخ از تو هزار بار بیچاره ترست .

لا تمزون الی الفلک الخیر و الشر اللذین هما من غریزة
البشر ، و الفرح و الغم اللذین هما من القضاء و القدر ، لان
الفلک - من طریق العقل - اعجز منك الف مرة .

— ۲۲۸ —

چون حاصل آدمی در این شورستان ،
جز خوردن غصه نیست یا کندن جان ؛
خرّم دل آنکه از جهان بیرون شد ،
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان . .

لما لم یکن ما یجتنبه الانسان فی هذه الحیاة ذات الفتن
غیر الألم وعذاب النفس ، فطوبی لمن خرج منها
او لم یجئ الیها .

بنگر ز صبا دامن گل چاک شده ،
بلبل ز جمال گل طربناک شده ؛
در سایه گل نشین که بسیار این گل ،
از خاک بر آمدست و در خاک شده

انظر کیف تمزق جلاباب الورد بهبوب الصبا ، و کیف
طرب العندلیب بجماله . اجلس فی ظل الورد فطالما نبت
هذا الورد فی التراب وعاد الیه .

امشب می جام یکنی خواهم کرد ؛
خود را به دو جام می غنی خواهم کرد ؛
اول سه دلاق عقل و دین خواهم گفت ،
پس دختر رزرا به زنی خواهم کرد .

سأشرب فی هذه الليلة مدامة فی جام يستوعب
« ردلاً » ، و اكون غنياً بجامين من الخمر ، وقبل كل شيء
اطلق عقلي و دینی ثلاثاً ثم انكح بنت الكرم .

تا بتوانی خدمت رندان میکن ،
بنیاد نماز و روزه ویران میکن ،
بشنو سخن راست ز « خیام عمر » !
می میخور ، و رده میزن ، و احسان میکن .

اخدم الندای — اخوان الشَّرب — ما استطعت ،
واهدم اركان الصلوة والصيام ، اسمع القول الصحيح من
« عمر الخيام » اشرب الخمر ، واقطع الطرق ، واحسن الى الغير .

توبه ممکن از می آگرت می باشد ،
صد توبه نادمانه در پی باشد ،
گل جامه دران و بلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه روا کی باشد .

اذا كنت تملك خمرأ فلا تلب من شربها ، ان لك
متسفاً من الوقت لتتوب مائة مرة توبة الندم . صاحب !
لقد تفتحت اكام الورد وصاحت العنادل فهل تجوز التوبة
في مثل هذا الوقت ؟

ای دل چو زمانه میکند غمناکت ،
ناگه برود زتن روان پاکت ،
بر سبزه نشین و خوش بز ، روزی چند ،
زان پیش که سبزه برد مد از خاکت .

ایها القلب قد غمك الدهر ، وسيفارق جسدك روحك
للغيب . فاجلس على العشب الاخضر ، وعش رعداً بضعة
ایام قبل ان یفت العشب من ترابك

- ۹۰ -

چون مرده شوم به باده شو بید مرا ،
تلقین ز شراب و جام گو بید مرا ؛
خواهید به روز حشر یا بید مرا ،
از خاک در میکده جو بید مرا ،

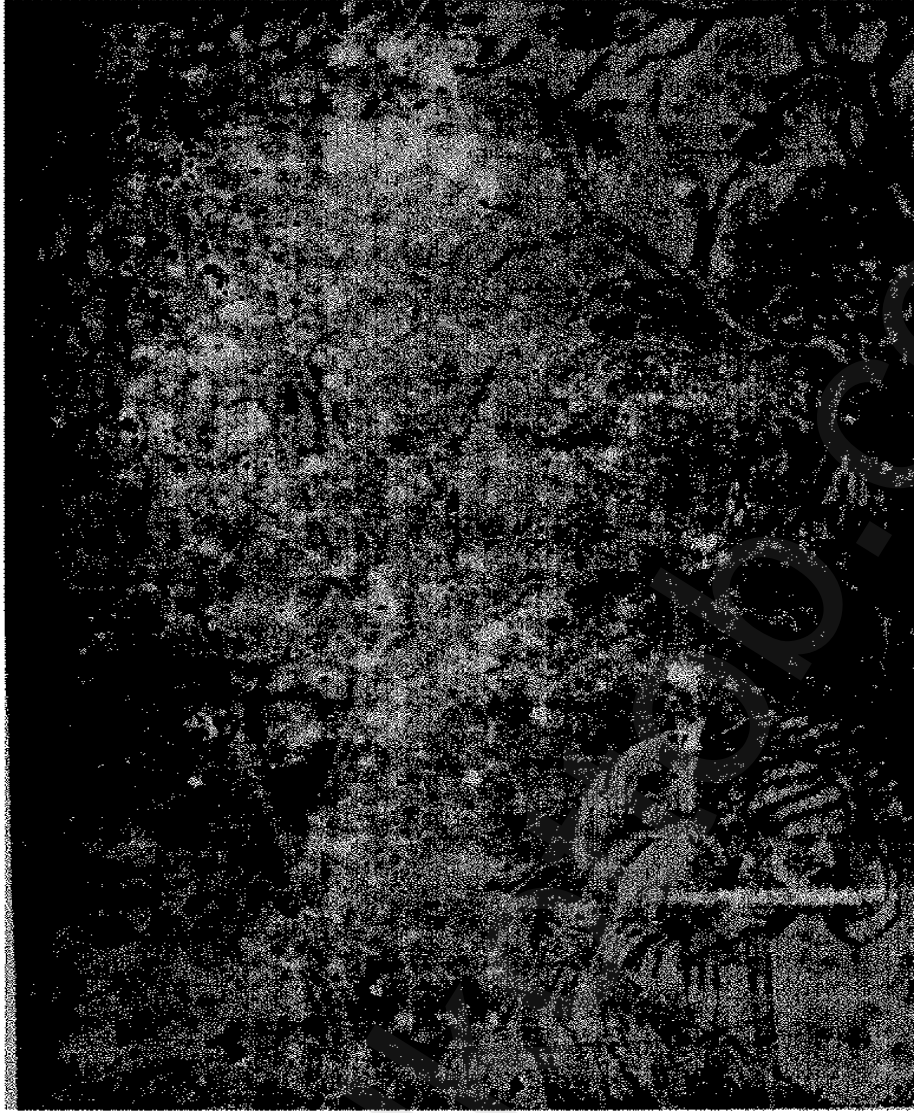
اغسلونی ان مت بالصهباء ، ولقنونی بالحرّة والجام ،
واذا شقتم ان تجدونی يوم الحشر تحرونی فی تراب
حانة الحمر .

- ۹۱ -

تا چند ز مسجد و نماز و روزه ؟
در میکدها مست شو ار در یوزه ؛
خیام ، بخور باده که این خاک ترا
که جام کنند و گه سبو ، گه کوزه .

حتىّ تمّ تتحدث عن المسجد والصلاة والصيام ، اسکر
فی حانات الحمر ولو بالفحاذة ، یا خیام ا اشرب المدامة
فیسمنمون من ترابك مرةً جاماً ، وطوراً دنّاً ، واخری
کوزاً

- ۲۴۲ -



افسوس کہ نامہ جوانی طی شد ،
وین تازہ بہار شادمانی طی شد ،
آن مرغِ طرب کہ نام او بود شباب
فریاد ! ندانم کہ کی آمد ، کی شد
یا افسنا ! قد انطوی کتاب الشباب ، وانطوی ربیع
السرور الغض . اوہ ! لا ادری متی جاء الشباب
— ذلك الطائر الطروب — ومتی ذهب !؟

— ۹۳ —

ای هم‌نفسان مرا به می قوت کنید ،
وین چهره کهر با چو یاقوت کنید ؛
چون مرده شوم به می بشو یید مرا ،
و ز چوب رزم تخته تابوت کنید

يارفتی ااقیتونی بالخرّة واجعلوا وجهی المصفر
کالورس احمر کالیاقوت ، و اذا مت فاغسلونی بالمدامة
وانحتوا تابوتی من أعواد الکرم .

— ۹۴ —

آنم که پدید گشتم از قدرت تو ،
پرورده شدم بنار در نعمت تو ؛
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد ،
تا جرم منست بیش یا رحمت تو .

انا اذک الذی ظهرتُ الی عالم الوجود بقدرتک وربیت
بدلال فی نعمتک ، سوف اکثر من الذنوب مائة عام
لأعلم ایها اعظم ذنوبی أم رحمتک ؟ .

— ۲۳۴ —

— ۹۵ —

آنها که ز پیش رفته اند ای ساقی ،
در خاک فرور خفته اند ای ساقی ؛
روباده خور و حقیقت از من بشنو :
بادست هر آنچه گفته اند ای ساقی

ای ساقی المدام ! اولئك الذين رحلوا قبلنا قد ناموا
في تراب الغرور ، اذهب واشرب الخمر واسمم مني الحقيقة :
هواء كل ما قالوا .

— ۹۶ —

تا چند کنم عرضه نادانی خویش ،
بگرفت دل من از پریشانی خویش ؟
ز نار مغانه بر میان خوام بست ،
دانی ز چه ؟ از ننگ مسلمانی خویش .

الی متی اعرض جهالة نفسي ، ضاق قلبي من هذا
الشتات . ارید ان اشد فی وسطی زتاراً مجوسية . أ تعلم
لماذا ؟ من خزی اسلامی

— ۲۳۵ —

— ۹۷ —

افسوس که سرمایه زکف بیرون شد ،
وز دست اجل بسی جگرها خون شد ؛
کس نامد از آن جهان که پرسم ازوی ،
کاحوال مسافران عالم چون شد .

و اُسفاه ! فقد ذهب رأس المال من ایدینا ، و کم من
اکباد صارت دامیة من ید الموت ، لم يرجع أحد من
الآخرة . لأسأله عن حال الذین سافروا من الدنیا الیها

— ۹۸ —

ای چرخ ز گردش تو خو رسند نیم ،
آزادم کن که لابق بند نیم ؛
گر میل تو با بیخرد و نا اهلست ،
من نیز چنان اهل و خرد مند نیم .

ایها الملک ! انا غیر مسرور بدورانک ، اُطلق سراحى
فانى غیر قبین بان اقیّد وان کنت تمیل الی الحمقى والذین
لیسوا اهلاً للفضل . فانا ایضاً لست ذلك العاقل الکفء .

-- ۲۲۶ --

- ۹۹ -

آن قصر که جمشید در او جام گرفت ،
آهو بچه کرد و روبه آرام گرفت ؛
بهرام که گور میگرفتی همه عمر ،
دیدی که چه گونه گور بهرام گرفت ؟

ان القصر الذی کان « جمشید » یتعاطی فیہ
الأقداح . قد ولدت فیہ الظبیه واطمان فیہ اشعلب .
و « بهرام » الذی کان یصید حمار الوحش طول عمره ،
أرأیت کیف صاد القبر بهراماً ؟

- ۱۰۰ -

از حادثه جهان زانیده مترس ؛
وز هر چه رسد چون نیست پاننده مترس ؛
این یکدمه عمرا غنیمت میدان ،
از رفته میندیش وز آینده مترس .

لا تخش من حادث الدنيا ومن كل ما يصيبك منه لانه
لا يدوم ، انتهى هذا العمر القصير . ولا تفكر فيما مضى
ولا تخف من الآتى !

- ۲۲۷ -

- ۱۰۱ -

هر چند که رنک و بوی زیباست مرا ،
چون لاله رخ و چو سرو بالاست مرا ،
معلوم نشد که در طربخانه خاک ؛
نقاش ازل بهر چه آراست مرا .

مهما كان لوني بديماً . وعرفي ذكياً . ومحبيّاي
كالفريق . وقامتى كاللانة ، لا اعرف لماذا زاننى النقاش
الأزلى فى هذه الارض دار السرور « ؟ » .

- ۱۰۲ -

گل گفت : به ازلقای من رویی نیست ،
چندین ستم گلا بگر باری چیست ،
بلبل بزبان حال با او میگفت ؛
يك روز که خنديد كه سالى نگرىست ؟

قال الزهر : لا وجه انتر من وجهى . يا عجباً
لم يجور على كل هذا الجور - عاصر الزهر - فاجابه البليل
بلسان الحال قائلاً : من ذا ضحك يوماً واحداً ولم يبك عاماً ؟!

- ۲۲۸ -

- ۱۰۳ -

رفتم وزما زمانه آشفته بماند ،
با آنکی ز صد گهر یکی سفته بماند ؛
افسوس که صد هزار معنی دقیق ،
از بیخردی خلق نا گفته بماند .

ذهبنما . و بقى الزمان بعدنا مضطرباً ولم تثقب الا جوهرة
واحدة من مائة ، و اأسفا ! فقد بقيت مئات
الألوف من المعانى الدقيقة لم تذكر . حذراً من حق الناس

- ۱۰۴ -

مهتاب به نور دامن شب بشکافت ،
می خور که چنین دمی دگر نتوان یافت ؛
خوش باش و بر اندیش که مهتاب بسی
اندر سرخاک یک یک خواهد یافت

قد فلق القمر بثوره أهداب الليل ، فطرب اذ ليس
في الوسع ان تمضى بعدها بمثل هذه اللحظة ، طب نفساً
فان القمر سيسطع كثيراً على حافة قبر كل واحد منا ،

- ۲۲۹ -

- ۱۰۵ -

بباده تعیین که ملک محمود اینست ؛
وزچنک شتو ، که لحن داود اینست ؛
از آمده ورفته دگر یاد مکن ،
حالی خوش باش زآنکه مقصود اینست .

ماشر الحمر، فانها ملك محمود، واسمع القيثارة فانها لحن
داود، لا تذكرن الآتى والماضى، وطب نفساً في ساعتك
التي انت فيها، فذلك هو المقصود .

- ۱۰۶ -

این چرخ که با کسی نمیگوید دار ،
کشته به ستم هزار مجرد وایاز ،
می خور که به کس عمر دوباره بدهند ؛
هر کس که شد از جهان نمی آید باز .

ازهدا الفلك الذى لم يطلع احداً على اسراره . قد قتل
الف «محمود وأيار» عدواً وهدماً . اشرب الصهباء انك
لا تُعطَى العمر مرتين . والذى يفارق الحياة لا يعود اليها
تارة اخرى .

- ۱۰۷ -

-۱۰۷-

کرمی نخوری طعنه مزن مستانرا ،
کردست دهد توبه کنم یزدانرا ؛
تو نخر بدین کنی که من می نخورم ،
صد کار کنی که می غلامست آنرا .

ان كنت لا تشرب الخمر . فلا تطعن في السكارى ،
لو اتيتح لى لتبت الى الله ، ان نفتخر بانك لا تشرب الخمر
وانت تعمل مئات من الأعمال اشنع منها

-۱۰۸-

در سر مگذار هیچ سودای محال ،
می خور همه سال ساغر مالا مال ؛
با دختر رز نشین و عیشی میکن ،
دختر بحرام به زما در بحلال .

لا تضع في رأسك حب المحال واشرب الصهباء كل
العام با كواب مترعة ، عش رغداً مع ابنة العنقود . فان
لقاء الأبنة بحرام . خير من لقاء الام بحلال .

-۲۴۱-

- ۱۰۹ -

امروز که نوبت جوانی منست ،
می نوشم از آنکه کامرانی منست ؛
عیدش مکنید اگر چه تلخست خوشست ،
تلخست از آنکه زندگانی منست .

في هذا اليوم الذي . هو عهد صـبـاي . اشرب الحـمـرة
لأن فيها نـيل مرامي ، لا تنتقصوها فهي لذبة على
مرارتها ، اجل ! هي مرّة لانها حياتي .

- ۱۱۰ -

آمد سحری ندا زمیخانه ما ،
کی رند خراباتی دیوانه ما ؛
برخیز که پرکنیم پیمانه زمی ،
زات پیش که پرکنند پیمانه ما .

سمعت هاتفاً في السحر من عانتنا يقول : اي يا أخا
الشرب المفتون . قم لنملاً الكأس بالحـمـرة قبل ان يملاوا
كأسنا - قبل ان تداهنا المنية - .

- ۲۴۲ -

آن جسم پیاله بین بجان آبتن ،
همپون سمنی بارغوان آبتن ؛
نی نی غلطم که باده از غایت لطف ،
آیست با آتش روان آبتن .

انظر الى الكأس فانها حبلی بالروح ، او انها كياسمين
حبل بالأرجوان . لا ، لا ، فقد اخطأت القول . بل
انها من شدة لطفها . ماء حیل بنار مائة .

در میکده جز بمی وضو نتوان کرد ،
وین نام که زشت شد نکو نتوان کرد ؛
می ده که کنون برده مستوری ما ،
بدریده چنان شد که رفو نتوان کرد .

لا يمكن الوضوء في الحانة الا بالمدامة ، وهذه السمعة
التي تشوهت فلا يتيسر تحسينها ، عاطفيتها فان ستار عفافنا
قد تمزق . حتى لقد استحال ترقيعه .

— ۱۱۳ —

از آمدنم نبود گردون را سود ،
وز رفتن من جمال و جاهش نفزود ؛
وز هیچ کسی نیز دو گوشم نشنود ،
کاین آمدن و رفتنم از بهره چه بود .

ما کان للسکون نفع من مجيء . ولم يزد من ذهابي
جماله وجاهه ، ولم تسمع اذناي ايضاً من احد عن
الغاية من مجيء وذهابي .

— ۱۱۴ —

یر خیز ویا بتا برای دل ما ،
حل کن به جمال خویشتن مشکل ما ؛
یک کوزه می بیار تانوش کنم ،
ز آن پیش که کوزه‌ها کنند از گل ما .

قم و تعال ایها الصنم . رعاية لقلبنا . وحلّ بجنالک
مشکلنا ، هات کوزاً من الحمرة انحسوها قبل ان
يصنعوا ا کوزاً من طینتنا .

— ۲۴۴ —

— ۱۱۵ —

بس خون کسان که چرخ بیباک بریخت ،
بس گل که بر آمد ز کل و پاک بریخت ؛
بر حسن و شباب ای جوان غره شو ،
بس غنچه ناشکفته بر خاک بریخت .

ياما هدر الفلك دماء الناس ، وياما نبت الورد
وتناثرت اوراقه على الثرى ، ايها الفتى ! لا تغتر بحسبك
وشبابك . ياما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه

— ۱۱۶ —

تاباز شناختم من این پای زدست ،
این چرخ فرومایه مرا دست بدست ؛
افسوس که در حساب خواهند نهاد ،
عمری که مرا بی می و معشوقه گذشت .

غلّ هذا الفلك النذل يديّ . منذصرت افرق بين رجلى
ويديّ . واغمتهاه ! فسيحسبون من عمرى زماناً مرّ لي
بغير مدامة ومعشوقة .

— ۲۴۵ —

ابر آمد و بار بر سر سبزه گریست ،
بی باد ارغوان نمیباید زیست ،
امروز که این سبزه تماشا گه ماست ،
تاسبزه خاک ما تماشا گه کیست .

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب ، فلا يجز ان
نعيش بدون مدامة ارجوانية . ان هذا العشب مسرح
لانظارنا اليوم ، ياترى لمن سيصبح عشب تراينا مسرحاً ؟ .

از درس علوم جمله بگریزی به ،
واندر سر زلف یار آویزی به ،
زان پیش که روزگار خونت ریزد ،
توخون صراحی بقدح ریزی به .

الأحسن ان تهرب من درس العلوم كلها . وان تنعلق
بطرّة الحبيب ، وقبل ان يسفح الدهر ديك . اسفح
دم الأبريق في القدح .

— ۱۱۹ —

چون عهده نمی شود کسی فردارا ،
خوش دار دمی این دل پرسو دارا ؛
می نوش به ماهتاب ای ماه که ماه ،
بسیار بتابد و نیابد مارا .

لما لم یکن الغد مضموناً . فافرح قلبك المشغوف
واشرب الخمر علی ضوء القمر ، لأن القمر یا ایها القمر !
سیطلع کثیراً ولا یجدنا .

— ۱۲۰ —

پیش از من و تو لیل و نهاری بودست ،
کردنده فلک ز بهر کاری بودست ؛
ز نهار قدم بخاک آهسته نهی ،
کآن مردمک چشم نگاری بودست .

كان قبلي وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور لأجل
غاية ، احذر وخفف الوطء على التراب فإنه كان حدقة
عين حبيب ! .

— ۲۴۷ —

ای چرخ فلک خرابی از کینه تست ،
بیداد گری عادت دیرینه تست ؛
ار خاک اگر سینه تو بشکافند ،
بس گوهر قیمتی که در سینه تست .

ایها الفلك الدوار ! الخراب من اثر حقدك والظلم
عادتك القديمة ، ايتها الأرض ! ان فتحو صدورك .
وجدوا فيه كثيراً من الجواهر الثمينة .

من باده خورم ولیک مستی نکنم ،
الا بقدر دراز دستی نکنم ؛
دانی غرضم زمی پرستی چه بود ؟
تا همیو تو خویشتن پرستی نکنم .

انا اشرب المدامة . ولكنى لا اعربد ، والى غير
الكاس لا اطيل يدى ، أتعلم ما هو غرضي من عبادة
الخرم ؟ ذلك لكلا اعبد نفسي مثلك .

— ۱۲۳ —

حکمی که از و محال باشد پرهیز ،
فرموده از و کناره گیر و بگریز ،
من مانده میان امر و نهی عا جز ،
این قصد چنان بود که کچ دار و سریز .

امرنی: ان اتجبت و افر من الأحكام التي لا يحیی لی منها
وقد بقیت عاجزاً مختاراً بین امره و نهیه ، فهو کمن یقول
اقلب الکأس ولا تسکب مافیها !.

— ۱۲۴ —

این کوزه چو من عاشق زاری بودست ،
در بند سر زلف نگاری بودست ؛
این دسته که در گردن او مبینی ،
دستیست که در گردن یاری بودست .

کان هذا الکوز مثل صبا کئیباً مفتوناً بفراع ملیحة
هیفاء ، وهذه العیوة التي تراها فی جیده . کانت یداً تعتیق
احدی الحسان .

— ۲۴۹ —

-- ۱۲۵ --

بر خیز و مخور غم جهان گذران ،
خوش باش و دمی به شادمانی گذران ؛
در طبع جهان اگر وفایی بودی ،
نوبت بتو خود نیامدی از دگران .

انهمض اولاً تمحزن علی الدنيا الفانیة . وطب نفساً واقض
وقتک بسرور ، لو كان الوفاء من شیمة الدنيا . لما انتقلت
الیک من الآخرین .

-- ۱۲۶ --

دارنده چو ترکیب طبائع آراست ،
از بهر چه اوفکنندش اندر کم و کاست ؛
کز آنکه بد آمد صور عیب کراست ،
ورنیک آمد خرابی از بهر چه خواست .

لما ركب الخالق الطبائع . لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟
فاذا جاءت رديئة . فالعيب عليه . واذا جاءت جيدة
فلماذا يخرّبها ؟

-- ۲۵۰ --

— ۱۲۷ —

آنها که بفکرت درّ معنی سفتند ،
در ذات خداوند سخنها گفتند ؛
سر رشتهٔ اسرار ندانست کسی ،
اول زنجی زدند و آخر خفتند .

اولئك الذين تقبوا درر المعاني بافكارهم تكلموا كثيراً
في ذات الباري . لم يعرف احد منهم مبدأ الأسرار ، انما
هرفوا اولاً وناموا اخيراً .

— ۱۲۸ —

آغاز روان گشتن این زرّین طاس ،
و انجام خرابیٔ چنین نیک اساس ؛
دانسته نمی شود بمعیار عقول ،
سنجیده نمی شود بمقیاس قیاس .

لا يعرف بمعيار العقل . ولا يقاس بالمقاييس . لمبدأ دوران
هذا الكأس - الفلك - المذهب ومنتهى خراب هذا
الأساس الجيد .

— ۲۰۱ —

— ۱۲۹ —

ما یم خریدار می کهنه ونو ،
وانگاه فروشنده جنت بدوجو ؛
گفتی که پس از مرگ کجا خواهم رفت ،
می پیش من آر وهر کجا خواهی رو .

انا نحن نشترى كلنا المدامتين المعتقدة والحديدة ، ونحن
الذين نبيع الفردوس بشميرتين ، قلت لى : الى اين اذهب
بعد الموت ، هات لى الصهباء ، واذهب الى حيث تشاء .

— ۱۳۰ —

این عقل که در راه سعادت پوید ،
روزی صد بار خود ترا میگوید ؛
در یاب تو این یکدمه فرصت که نه ،
آن تره که بدروند وریگر روید .

هذا العقل الذى يسير فى طريق السعارة ، يقول لك كل
يوم مائة مرة : انتهز هذه الفرصة . فلست ذلك «الكرات»
الذى اذا حصدوه نبت مرة اخرى .

— ۲۵۲ —



از جرم حضيض خاك تا اوج زحل ،
كردم همه مشكلات گردون را حل ؛
بيرون جستم زبند هر مكر و حيل ،
هر بند كشاده شد مگر بند اجل .

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين
الارض وزحل ، ونجوت من عقدة كل كبر و حيلة ، وقد
انحلت كل عقدة في الحياة . سوى عقدة الأجل .

— ۱۳۲ —

ای گل تو بروی دلربا میانی ،
ای مل تو بلعل جانقزا میانی ؛
ای بخت ستیزه کار هر دم بامن ،
بیگانه تری و آشنا میانی .

یاورد ! انت نحاکی محیا الحسناء ، ویا خمر ! انت
کیاقوتة تبهج الروح ، ویا أيتها الحظ المعاكس ، انت فی کل
وقت خصم لی . وتظهر بمظهر الصديق .

— ۱۳۳ —

پیرانه سرم عشق تو در دام کشید ،
ورنه ز کجا دست من و جام نبید ؛
آن توبه که عقل داد جانان بشکست .
وآن جامه که صبر دوخت ایام درید .

اصطادنی عشقک فی شرکه ، ورأسی هشتعل بالشیب
والآ فمن انا وكأس الحمينا ، لقد عبث الحبيب بالتوبة التي
وهبني اياها العقل ، ومزقت الأيام . ذلك القميص الذي
خاطه الصبر .

— ۱۵۴ —

— ۱۳۴ —

صیّاد ازل که دانه در دام نهاد ،
صیدن بگرفت و آدمش نام نهاد ؛
هر نیک و بدی که میرود در عالم ،
او میکند و بهانه بر عام نهاد .

وضع صیادا الأزل حبة في الشرك واصطاد . وسمّی
صیده آدم ، انه هو الذي يعمل كل قبیح و حسن في
العالم . ويحمل الناس تبعه ذلك .

— ۱۳۵ —

فردا علم تفاق طی خواهم کرد ،
باموی سفید قصد می خواهم کرد ؛
بیانه عمر من به هفتاد رسید ،
این دم نکم نشاط ، کی خواهم کرد .

سأطوی غداً علم النفاق . وسأقصد الحجرة ورأسي
مشتعل بالشيب ، بلغت من العمر سبعين عاماً ، فاذا لم
انشط الآن للطرب ، فتي اعمل ذلك ؟ .

— ۲۰۰ —

— ۱۳۶ —

هر ذره که در روی زمینی بودست ،
حورشید رخی زهره جبینی بودست ؛
کرد از رخ آستین باآرم فشان ،
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست .

ان کل ذرة علی وجه الثرى ، هی وجه حسناء زهراء
الجبین ، یا هذا انقض الغبار من اردانك بلطف ، فانه کان
ایضاً وجه حسناء اخرى .

— ۱۳۷ —

برجه ، برجه ، زجامه خواب ای ساقی ،
درده ، درده ، شراب ناب ای ساقی ؛
زآن پیش که از کاسه سرکوزه کنند ،
از کوزه به کاسه کن شراب ، ای ساقی

یاساقی ! قم من فراش النوم واعطنی خمره صافية
وقبل ان یصنعوا من جاجنا ا کوازا اسكب الخمره من
الکوز فی الکأس واسقنا یاساقی !

— ۲۵۶ —

- ۱۳۸ -

تا ظن نبری که از جهان میترسم ،
وز مردن وز رفتن جان میترسم ؛
مردن چو حقیقتیست زان باکم نیست ،
چون نیک زیستم از ان میترسم .

لا تظن انی اخاف النکائات او اخشی الموت وفراق
الروح ، الموت حقيقة فلا أعابها . ولکننی اخشی ان
لا اعیش سعیداً .

- ۱۳۹ -

عالم همه محنتست وایام غم است ،
کردون همه آفتست وگیتی ستم است ؛
فی الجمله ، چو درکار جهان مینگریم ،
آسوده کسی نیست . وگر هست کم است .

بالعالم کاه محنة ، و بالأیام غم ، و بالفلک کله آفة ، و الدنیا
ظلم ، انی انظر لی اعمال الحیاة . فلا اجد فیها مراً حاسعاً
واذا وجد . فنزر قلیل .

- ۲۵۷ -

— ۱۴۰ —

طبعم به نماز و روزه چون مایل شد ،
گفتم که مرا آن کلیم حاصل شد ؛
افسوس که آن وضوء به گوزی بشکست ،
وین روزه بنیم جرعه می باطل شد .

عندما مال طبعی الی الصلاة والصوم . قلت لنفسی لقد
حصل مرادی ، لکن أسفاً لقد بطل ذلك الوضوء بضرطة
وبطل الصوم بنصف جرعة من الخمر .

— ۱۴۱ —

خوش باش که عالم گذران خواهد بود ،
جان در پی تن نعره زنان خواهد بود ؛
این کاسه سرها که تو بینی ، فردا ،
زیر لکد کوزه گران خواهد بود .

اسعد ! فان الدنيا ستنقضی وسوف تنوح الروح خلف
الجسد ، و هذه الجماجم التي تراها الآن . ستطأها أقدام
اللكوازين غداً .

— ۲۰۸ —

— ۱۴۲ —

چندین غم مال و حسرت دنیا چیست ،
هرگز دیدی کسی که جاوید بزیست ؛
این يك دو نفس در تن تو عاریتست ،
با عاریتی عاریتی باید زیست .

لَمْ يَلَمْ هَذَا الْغَمَّ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ وَلَمْ يَلَمْ هَذِهِ الْحَسْرَاتِ مِنْ
أَجْلِ الدُّنْيَا . أَرَأَيْتَ أَحَدًا خَلَدَتْ لَهُ الْحَيَاةُ هَذِهِ انْفَاسَكَ
فِي جِسْمِكَ عَارِيَةً . فَعَمَّشَ مَعَ الْحَيَاةِ الْعَارِيَةِ كَالْعَارِيَةِ .

— ۱۴۳ —

کاو یست در آسمان و نامش پروین ،
يك گاو دگر نهفته در زیر زمین ؛
چشم خردت گشای کز اهل یقین ،
زیر و زبر دو گاو چندین خربین .

ثور في السماء واسمه « الثريا » وثور آخر مخفي تحت
الأرض ، فافتح بصيرة عقلك ان كنت من اهل اليقين ،
وانظر الى ما بين الثورين من الحمير .

— ۲۵۹ —

—۱۴۴—

ساقی ، قدحی که کار عالم نفسیست ،
کرشادی ازویک نفس آن نیز بسیست ؛
خوش باش بهر چه پیشت آید که جهان ،
هرگز نشود چنانکه دخواه کسیست .

أیها الساقی ! عاظنی كأساً فالعالم « نفس » وحسب
الانسان من السرور نفس واحد أيضاً ، طب نفساً من کل
ماتلاقیه فی الحیاة ، لأن الحیاة لن تكون وفق رغبة أحد .

—۱۴۵—

آبادی میخانه زمی خوردن ماست ،
خون دو هزار توبه در گردن ماست ؛
گرمن نکنم گناه رحمت چه کند ،
آرایش رحمت از گنه کردن ماست .

تعمُرُ الحانة بـشربنا الخمر ، وفي اعناقنا دم النبی
توبة . انا ان لم اذنب . فما تصنع الرحمة ؟ انما الرحمة
تزدان بآثامنا .

—۲۶۰—

- ۱۴۶ -

هر گه که طلوع صبح ازرق باشد ،
باید که بکف جام سرّوق باشد ؛
کویند بافواه که می تلخ بود ،
باید به همه حال که می حق باشد .

كلما ينفلق الصباح . يجب ان يكون في الكف كأس
خمره سرّوقه ، يقولون ان الخمره مرّة في النعم ، فاذا على
كل حال يجب ان تكون الخمره هي الحق .

- ۱۴۷ -

آنان که در آمدند و در جوش شدند ،
آشفته ناز و طرب و نوش شدند ؛
خوردند پیاله و مدهوش شدند ،
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند .

اولئك الذين ظهروا الى الوجود وفاروا . قد شغفوا
بالشرب والغنج والدلال ، وقد حسوا كأنما ودهشوا
واحتضن بعضهم بعضاً في نوم العدم .

- ۲۶۱ -

— ۱۴۸ —

می خورد که بزیر گل بسی خواهی خفت ،
بی مونس و بی حریف و بی همدم و جفت ؛
ز بهار به کس مگو تو این راز نهفت ،
هر لاله که پژمرده نخواهد بشکفت .

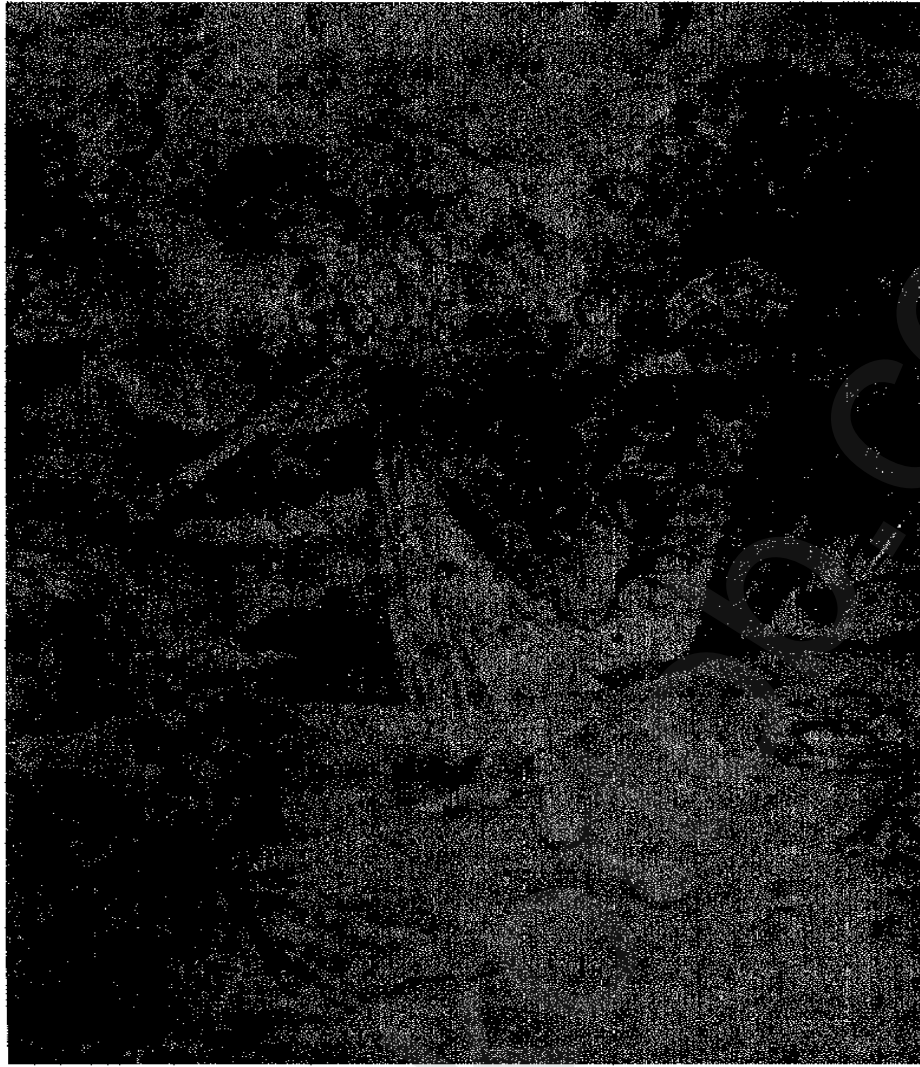
اشرب الحمیاً انک سترقد طویلاً تحت الثری حیث
لا انیس ولا صدیق ولا رفیق ولا زوج ، احذر لا تقش
هذا السر لآحد : الوردۃ الذابله لا تفتح ای - لا یعود
الیها زهوها وروتقها - .

— ۱۴۹ —

در دهر هر آنکه نیم فانی دارد ،
وز بهر نشست آشیانی دارد ؛
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی ،
کوشاد بزی که خوش جهانی دارد .

من کان یملك من دنیاہ نصف رغیف ، وعشاً حقیراً
لسکناہ ، لایکون خادمآ ولا مخدوما ، فلیعش سعیدآ فان
عیبه رغید .

— ۲۶۲ —



زآن پیش که از زمانه تابی بخوریم ،
بایگدر امروز شرابی بخوریم ؛
کاین چرخ فلک به وقت رفتن ما ،
چندان بدهد امان که آبی بخوریم .
قبل ان یصینا من الزمان التواء ، تعالوا نشرب الحرة
معا ، فان هذا القلک الدوار عند ارتحالنا لایمهلنا ان
نشرب جرعة من الماء .

- ۱۵۱ -

ساقی گل و سبزه بس طربناک شدست ،
دریاب که هفته دگر خاک شدست ؛
می نوش و گلی بچین که تا در نگری ،
گل خاک شده است و سبزه خاشاک شدست

ایها الساقی ! ان الورد والعشب فی طرب کثیر ، انقبه
فسیکونان تراباً بعد اسبوع ، اشرب الصهباء واقطف
الورد : ففی طرفه عین یستحیل الورد تراباً والعشب غشاء أحوی

- ۱۵۲ -

چندین غم بیهوده مخور شاد بزی ،
واندر ره بیداد تو باداد بزی ؛
چون آخر کار این جهان نیستی است ،
انگار که نیستی و آزاد بزی .

لا تمزن فالحزن عبث ، وعش فرحاً ، وفق طریق الظلم
کن عادلاً ، مادامت نهاية الحياة هی المدم . فافرض انك
لم تكن . وعش حراً .

- ۲۶۴ -

این يك دوسه روزه نوبت عمر گذشت ،
چون آب بجو يبار و چون باد بدشت ؛
هرگز غم دو روزه مرا ياد نکشت ،
روزی که نيامدست و روزی که گذشت .

ذهبت ايام العمر القليلة كالأاء في الوادى او الريح في
البيداء . انا لا أغمّ ليومين من الأيام . اليوم الذى
لم يأت واليوم الذى مضى .



نشرنا في هذا الكتاب ۱۵۳ رباعية مع ترجمتها وقد اعتمدنا نسخة
الدكتور فردريخ روزن . ونسخة الأديب حسين دانش وقد عرضنا
الترجمة على علامة العراق الاستاذ فهمى بك المدرس الذى يعد في طليعة
المتوغلين في الأدب الفارسي . فوافق على الترجمة واستحسنها .
تم بحمد الله وعونه

فهرس الكتاب

القسم الاول

الصفحة	عصره . سيرته . فلسفته . ادبه
١	اهداء الكتاب . المقدمة . كلمة في دمشق . مدينة الأخران
٢	بي بي جان
٤	اول عهد المؤلف بالخيام . اسطوره

من هو عمر الخيام؟

٧	المؤرخون النظامي	١٥	القزويني
٨	البيهقي	١٦	رشيد الدين
١٠	خاقاني . الرازي	١٧	الأبرقوهي
١١	الشهرزوري	١٨	حمدالله المستوفي
١٣	ابن الأثير	١٩	خواندمير
١٤	القفطي	٢١	زوكوفسكي

تحقيق ما جاء في هذه الوثائق

٢٤	الرد على رواية البيهقي	٢٦	الرد على رواية زكريا بن محمد
٢٥	الرد على رواية ميرخونده	٢٦	ابن محمود القزويني
		٢٦	الرد على رواية زوكوفسكي

.. م الخيام في الاداب الحديثة

الصفحة	الصفحة
الرباعيات في اللغة التركية :	٢٧ الرباعيات في اللغات الأجنبية
٣٥-٣٦ المعلم فيوضي . عصمت . رضا	٢٧-٣٠ المستشرقون
توفيق . حسن-ين دانش .	٣١ الرباعيات في اللغات العربية
رفعت احمد	البستاني . اللبناني
الرباعيات في اللغة العبرية :	٣٢ السباعي المصري
٣٧-٤٠ المحامي سليم اسحاق . الأديب	٣٣ محمد الهاشمي البغدادي
عزرا حداد	٣٤ الفيلسوف الزهاوي العراقي
	٣٥ احمد رامي المصري

عصر الخيام

الصفحة	الصفحة
٥١ مراتب الدعوة ومؤلفات	٤١ الوضع السياسي
الباطنية	٤٣ ظهور الدولة السلجوقية
٥٣ مبادئ الباطنية الشائعة في	٤٤ الحروب الصليبية
عصر الخيام - دار الحكمة	٤٦ الاسماعيلية - الباطنية
٥٤ تعاليم دار الحكمة . المؤسس	٤٦ القداح وقرمط
الثاني	٤٩ عقائد

الصفحة	الصفحة
٧٦ الطفراني . الباخرزي	٥٦ تعاليم ابن الصباح
٧٧ معاصروه من شعراء الفرس .	٥٧ مراتب الجمعية
مسعود سعد سليمان . عثمان مختاري	٥٩ الحشيشة
٧٨ محدود السناني . رشدي	٦٠ النتيجة
سمرقندي . اللامعي الدهستاني .	٦١ عصره العالمي - المدارس
برهاني	٦٢ المدارس النظامية
٧٩ زعماء الحركة الفكرية في	٦٣ مقاومة علماء الاسلام للباطنية
عصره . الغزالي	٦٤ الخلاصة
٨٠ الشهرستاني	٦٥ روح هذا العصر
٨١ الشيخ ابو اسحق	٧٥ شعراء عصره . الأبيوردي .
٨٢ امام الجرمين	صردر

حياته وسيرته

الصفحة	الصفحة
٨٩ اسفاره	٨٣ مولده
٩١ شهرته	٨٤ اسمه ولقبه وكنيته
٩٢ مزاجه	٨٥ نسبه وعائلته
٩٣ مواهبه . اتهامه بالزندقة	٨٦ وطنه

ادبیه و علمیه

الصفحة	الصفحة
شعره العربی ۱۰۵	رباعياته ۹۶
علومه ۱۰۷	عدد الرباعيات ۹۸
مؤلفاته ۱۱۱	الخيام وشعراء الفرس ۱۰۴

فلسفیه

الصفحة	الصفحة
ابن سینا ۱۲۲	مصادر فلسفته ۱۱۸
الباطنية ۱۲۳	الفلسفة اليونانية ۱۱۹
	رسائل اخوان الصفا ۱۲۰

موضوع فلسفیه

الصفحة	الصفحة
البعث . الروح ۱۲۹	المادة والزمان ۱۲۹
الدنيا ۱۴۲	الآله ۱۳۰
تكریم الجسم بعد الموت ۱۴۳	الجبر ۱۳۳
	التناسخ ۱۳۷

مذهب الفلاسفة

الصفحة	الصفحة
الصفحة	الصفحة
١٥٢ التشاؤم	٤٩ الأ أدريه

نظراؤه

الصفحة	الصفحة
١٦٩ اخذها بالتقية	٩٥٧ ابن الشبلي البغدادي
١٧١ التناسخ	١٦٠ ابو العلاء المعري
١٧٤ تشاؤمها	١٦١ ولانتها ووفاتها
١٧٨ الحرة - المنية	١٦٢ اتهامها بالزندقة
١٨٢ مصير الجسم بعد الموت	١٦٤ اعتقادها بالجبر
	١٦٧ البعث بعد الموت

القسم الثاني

رباعياته

الصفحة
١٨٦-٢٦٥ وهي ١٥٣ رباعية مع الترجمة



جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
واخوتها	واخوانها	٢	٤
مقالم	اظلم	٢	١١
اخرى	خرى	٤	١١
من بنى	بنى	١٣	٣٨
حلوان	حاوان	١٦	٤٣
طلب	طالب	٧	٤٤
قال	يقال	١٠	٤٦
بقطع يد من	بقطع من	٥	٤٩
ودلائهم	وولاتهم	٧	٦٣
شهر	اشهر	٩	٦٣
يحول	تحول	١	٦٦
يعنيه	يعينه	١٤	٦٧
الفتاك	فتاكا	١٠	٧٣
ابن السمعاني	ابن السمعان	٢	٨١
اطناب	طناب	١٠	٨٥
يؤيدون	يؤديون	٩	٨٦
البياض	البياضه	٦	٨٧
كانت له منزلة	كانت منزلة	١٩	٩٦
عريانا	عريان	٩	١٠١

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٠٤	١٠	غاية	عناية
١٠٨	٧	ابو المعشر	ابو معشر
١١٠	٣	لزبدة	زبدة
١١٠	٥	القديم	التقديم
١١٠	١٦	رأيه	رأيته
١١٠	١٧	سراه	برى
١١٣	١٦	يشبهوه	يشبهونه
١١٧	٨	يوصمونه	يصمونه
١١٨	١٥	بطاليموس	بطليموس
١١٩	١	والرواقين	والرواقين
١٢٠	٤	وهذا	وهذه
١٢٠	٧	واوأمهم	وآراؤهم
١٢٥	٦	القود	القول
٣	١٢	لا يناقض	فلا يناقض
١٣٨	٩	ضافاً	ظافاً
١٦٨	١٨	والايدى	ولا يدي
١٧٠	٢٠	بزملائهم وانسابهم	بزملائهما وانسابهما
١٨١	١٤	طلق	طلقاً
١٨٤	٥	الشيخين	الشيخان
٢٠٩	٥	اقباهى	اباهى

www.alkottob.com